DATE	ISSUED TO
2 1 '72	BINDERY

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE



Princeton University Library
32101 072578378

كاظم محمد النقيب

الدعوة والعقبات

صادق طعمة

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٩٧٧

كاظم محمد النقيب

الدعوة والعقبات

صادق طعمه

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٩٩٧



الطبعة الأولى

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

الإهداء

الى الدعاة الى الله فى كل زمان ومكان .

الى من جعلوا رضوان الله غاية لجميع اعمالهم .

الى من لاتطغيهم كثرة من حولهم ، ولا يوحشهم تفرق الناس عنهم .

الى من جعلوا مصلحة امتهم الاسلاميه فوق جميع مصالحهم .

الى هؤلاء اهدي هذا المجهود راجياً ان ينفعني يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللهِ ، فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ، أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . »

الاحقاف آية (٣٢)

« وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ٱفْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلَامِ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . »

الصف آية (٧)



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف الدعاة الى الله ، وأفضل الادلاء على مرضاته ، قادة الأمم ، وساسة العباد ، محمد وأهل بيته المعصومين .

اما بعد :

فان الحديث عن الدعوة الاسلامية ، والدعاة الاسلاميين والعمل الاسلامى ، والعاملين للاسلام ، حيث تلتذ به النفوس المؤمنة بالاسلام عقيدة ونظاماً ، والداعية اليه ، والعاملة على تطبيقه فى كافة مجالات الحياة ، وترتاح له ضمائرهم ، ويثير فيهم الحماس الكامن . ويزيدهم اندفاعاً الى العمل الجاد المتواصل ، ويأخذ بأيديهم الى اتباع الاساليب والوسائل التي مارسها صاحب الدعوة وقائدها الاول رسول الله صلى الله عليه وآله .

ولكن الحديث عن العقبات والعراقيل التي تعترض الطريق حديث لذيذ ومؤلم !! ، لذيذ لان الداعية الاسلامي يجد نفسه متأسياً بالرسول صلى الله عليه وآله ، وبأهل بيته الطاهرين عليهم السلام « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » . ولأنه واثق بوعد الله سبحانه وما اعده من رضوان للداعين اليه « ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين » . ومؤلم عندما يشاهد الدعاة الاسلاميون ابناء المسلمين يتحللون من الاسلام عقدة عقدة ، وينبذون احكام الله وراء ظهورهم حكماً حكماً ، وعندما يرون شباب الاسلام وقد تفشت فيهم مباديء كافرة وسيطرت على ذهنياتهم عقائد مضللة ، وأفكار مظلمة جعلتهم لا يبصرون طريقهم السوي الذي رسمه الله سبحانه لهم ، وكونت منهم احزاباً مختلفة وكتلا متناحرة ، ومزقت شملهم ، وبددت كيانهم ، وهم ابناء امة واحدة فاصبحوا كما ذكرهم القرآن الكريم « كل حزب بما لديهم فرحون » .

واما الذين لم ينساقوا وراء سراب الاحزاب الكافرة ، ولم ينخدعوا بشراكها ، ولم يقعوا في فخوخها ، فقد انغمسوا

حتى رؤوسهم في المنكرات ، وشاعت فيهم الرذائل ، وانتشرت بينهم الميوعة وألهتهم الملذات والشهوات ، ولم تهمهـــم حتى مصالح انفسهم فضلا عن مصالح أمتهم ومجتمعهم وبلادهم .

وكذلك يكون الحديث مؤلما حينما يجد الدعاة ان من بين واضعي العقبات ومحاربي الدعوة الاسلامية ثلة من ابناء المسلمين هم في الوقت الذي يجب عليهـم ان يشمروا عن سواعدهم ، ويجندوا انفسهم لنصرة دينهم وانقاذه من ايدي المتلاعبين به ، وواضعي المخططات للاجهاز عليه ، لم يكتفوا ان يجلسوا ناحية ويتركوا الدعاة واعداء الاسلام في المعركة ، بل نزلوا الى الميدان وشهروا السلاح – ولكن ويالِلأسف الشديد – في وجه الدعوة الاسلامية لا في وجه اعدائها ، وعليها لا معها ، ووقفوا في طليعة اعداء الاسلام ورموه والدعـاة اليه بكل ما لديهم من سهام .

ان الحديث حول ذلك كله يحز النفس ، ويزيدها حسرة ويوضح للدعاة بما لا يدع للشك مجالاً : ان عملهم شاق ، ودربهم طويل ومن معالمه الاشواك والدموع والدماء ، فلا ينكبوا عنه ، او يستوحشوه لقلة سالكيه ، ولا يستعظموا عقباته ،

او يستكثروها ، فان ايمانهم اعظم ، وصبرهم اكثر . وعليهم ان يدركوا عظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم ، فهم حملة رسالة ، وبناة امة وصانعوا اجيال ، وان تكوينهم لانفسهم ، واعدادهم لها لتتأهل للقيام باعباء الدعوة معناه تكوين الامة ، والنهوض بها من مستوى الحضيض الى المستوى اللائق بها ، والذي كانت عليه في ماضيها التليد كما وصفها القرآن : « كنتم خير امة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر . . . »

وعظم المسؤلية - عزيزي القاري - منوط بالواقع الذي يعيشه الدعاة الى الله في كل زمان ومكان ، ففي واقع تسوده الاحكام والتعاليم الاسلامية . ويرتكز على اسسها ، ويستمد منها قوانينه وانظمته واعرافه وتقاليده ، ولا يسمح لدعوات الكفر واحزابه ان تنشأ وتنمو فيه او ينطلق لها صوت او تعمل علانية او خفاء ، ولا تجد فيه من يستخف بالشعائر الاسلامية ، او يهزأ منها علانية ، او يتظاهر بترك واجب اسلامى ، او يتجاهر بواحد من المحرمات الاسلامى ، ففي مثل هذا الواقع يكون واجب الدعاة الى الاسلام المحافظة عليه ليتمكن من اداء رسالته

الاسلامية على اكمل وجه ، وكما اراد الله سبحانه لـه ان يكون .

اما في واقع يرتكز على الاسس الاسلامية ، وتكون اعرافه وتقاليده وقوانينه وانظمته ضمن الاطار الاسلامي . ولكن تظهر فيه بعض الانحرافات المتعمدة ، وتهمل جوانب معينة من الاسلام عن التطبيق والتنفيذ ، فواجب الدعاة الى الاسلام ان يقوموا بتصحيح ذلك الانحراف ، واصلاح ذلك الفساد ، وتطبيق ذلك المهمل ، وتنفيذ المعطل من جوانب الاسلام ، دون التعرض لقواعد واسس ذلك الواقع في شيء ، لأنها قواعد وأسس اسلاميـــة ، فعملهم اذن اصلاحي ينصب على اصـــلاح تلك الاجزاء الفاسدة ، وترميم تلك الاطراف المتداعية .

وأما في واقع لم يرتكز على القواعد والاسس الاسلامية ، ولم يأخذ تشريعاته من الاسلام ، وتكون اعرافه وتقاليـده وعاداته بعيدة كل البعد عن التعاليم الاسلامية ، فالمنكر لا يتناهى عنه . والمعروف لا يؤمر به ، وتنطلق فيه دعوات مضللة ، وأحزاب كافرة ، وهي بطبيعتها تعمل لتحتل المكان

العقائدي والعملي الذي تحتله العقائد والتعاليم الاسلامية بعد اقصاءها ومحاربتها وتشويهها ففي مثل هذا الواقع - كما هو حال المسلمين اليوم في شتى اقطارهم - تعظم المسؤولية وتشتد حيث ان الاسلام - كفكر وعقيدة يعيش في اذهان الناس - مهدد بالخطر والزوال فضلا عن كونه نظاماً وسلوكاً عملياً يحدد تصرفات الانسان ، وينظم شؤون حياته .

فيجب على الدعاة الى الله تعالى ان يضطلعوا بمسؤولياتهم ويؤدوا واجبهم ، ويقدروا الظرف الدقيق الذي تمر به امتهم ، ومصير الاسلام ومستقبله بعد جيل او جيلين من الناس ، ويعملوا بجد واخلاص على تغيير هذا الواقع ، واجتثاثه من جذوره ، واستبداله بواقع اسلامي ، ولا تتم عمليتهم هذه بالادعاءات الفارغة ، والتمنيات العاطفية ، والاقاويـــل الجوفاء ، وانما بالعمل البناء الذي يبدأ من الفرد وينتهي عند المجموع ، فالتغيير يجب ان يبدأ من الفرد فيظهر اثره على سلوكه العملي ، ومعاملاته وتصرفاته

ومن ثم يصبح مثالا يقتدي به الآخرون « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . »

كاظم محمد النقيب

الدعوة

ما هي الدعوة ؟..

انبثقت الدعوة الاسلامية حين نزل الوحي على النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، وهو في غار حراء في جبل النور في مكة المكرمة .

فلم تكن : (وليدة لآلام امة من الأمم)

ولم تكن : (حتمية تأريخيه فرضها التطور التاريخي)

ولم تكن : (ظاهرة اجتماعية طرأت نتيجة لاوضاع فاسدة)

ولم تكن : (مجموعة من الفضائل أتت لتعالج وتهذب حياة معينة)

ولا هي : (حركة روحية امتزجت بتاريخ العرب)

ولا هي : (حركة اصلاحيـــة تعالج بعض العيوب الاجتماعية والمفاسد الخلقية)

وليست هي : (دعوة الى الكفاح والنضال ضد الاستعمار

الجاثم على حدود البلاد العربية يهدد أمنها وسلامتها كلما حلا له التهديد) .

وليست هي : (دعوة الى معالجة الجذب الذي اقعد الامة العربية عن السير فى موكب الحضارة) (١)

وانما هي رسالة إلهية ، وحركة انقلابية ، وعملية تغيرية . تستهدف استئصال الواقع الفاسد من جذوره ، وقلب الاوضاع الشاذة التي عمت البشرية ، وغرس التعاليم الاسلامية العادلة واقامة الاوضاع الطبيعية التي يعم خيرها الانسانية كلها .

وهذه الرسالة ، وهذه الحركة ، لم تكن وليدة تفكير انسان ، ولا هى من صنع مخيلة بشر مهما كان ذلك الانسان عريقـــاً فى العبقرية ، ومهما كان ذلك البشر مثالياً فى العظمة .

---

(١) هذه العبارات الموضوعة بين الاقواس تمثل آراءاً لكتاب غير اسلاميين وهى - كما ترى - محاولات مقصوده لتشويه حقيقة الدعوة الاسلامية ولصرف اذهان الناشئة عن كونها رسالة سماوية ، وشريعة عامة لكل زمان ومكان ، ومنهجاً واقعياً للتطبيق فى الحياة .

وانما هي نفحة من نفحات السماء الى الارض . ورحمة تفضل بها الله سبحانه على عباده ، ولطف افاضه الله على خلقه ورسالة اختص بها نبيه محمداً صلى الله عليه وآله ليكون رسولا الى الناس ، وداعياً الى الله بأمره .

قال تعالى : « يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً . » (١)

« هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . » (٢)

« قل ما كنت بدعاً من الرسل ، وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي ، وما انا الا نذير مبين . » (٣)

« واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا : آئت بقرآن غير هذا او بدله ، قل : ما يكون لي ان ابدله من تلقائي نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني

---

(١) سورة الاحزاب آية (٤٥) ، (٤٦)

(٢) سورة الصف آية (٩)

(٣) سورة الاحقاف آية (٩)

اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ..

قل : لو شاء الله ما تلوته عليكم ، ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله افلا تعقلون . » (١)

وبهذا تعلن الدعوة عن نفسها : انها رسالة من الله وليست من البشر ، فلم يكن محمد صلى الله عليه وآله الرسول البشر ، وخاتم النبيين ليأتي بشيء من عنده ، بل كان ما يوحى اليه من ربه « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . (٢)

« ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين . » (٣) .

كما تعلن : انها شريعة عامة جاءت لمعالجة جميع القضايا العامة والخاصة ، وتحمل العلاج الناجع لا دواء البشرية المتوطنة ، ولذلك فهي تتصف بالشمول والاستيعاب ، والسمو والرفعة ، والكمال والتمام فليست هي مقتصرة على

---

(١) سورة يونس آية (١٥) . (١٦)

(٢) سورة النجم آية (٣) ، (٤)

(٣) سورة الحاقه آية (٤٤) الى (٤٧)

اصلاح نواح معينة من حياة الانسان ولم تأتي لتخفف من وطأت الادواء الاجتماعية دون ان تعطي الدواء اللازم لاستئصال الداء والقضا على جرثومته ، كما انها ما جاءت لترمم البناء القائم للهيكل الاجتماعي المتداعي دون ان تقلعه حجراً حجرا ، وتزيل آخر معلمة من معالمه ، لتقيم مقامه البناء الاجتماعي السليم على اسس اسلامية رصينة .

« من رأى منكم منكراً فليغيره » . « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . »

فليس لأحد بعد هذا ان يصف الدعوة الاسلامية بغير ما وصفت به نفسها ومن هنا تعرف زيف تلك الاقاويل والمفتريات ومقدار ما تنطوي عليه من تضليل وخداع .

طبيعة الدعوة

وطبيعي ان تكون الدعوة الاسلامية عامة وشاملة لجميع الناس وجميع الامم من جهة ، وعامة شاملة لجميع جوانب الحياة الانسانية من جهة اخرى .

لان الناس كلهم ، والامم باجمعها كانــوا في جاهلية مظلمة ، فلم تكن امة على وجه الارض تنتهج منهجا صحيحا ، وتسلك صراطاً مستقيماً ، بل كانت الامم جميعها مصابة بالامراض الاجتماعية . والشذوذ فى التفكير والسلوك عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

كما انه لم يبق جانب واحد من جوانب الحياة لم يصب بالفوضى ، والاضطراب ، فالوثنية ، واستبداد الحكام ، وتصرفهم المطلق في الاموال والاعراض والارواح ، والغصب ، وشرب الخمر ، وارتكاب الفجور ، ولعب القمار ، وتعاطي الربا ، والطمع والحرص والجشع ، والغزو والنهب والسلب ، والجهل ، والانحطاط الفكري ، والايمان بالخرافات والاوهام ،

هذه كلها وغيرها من المساوىء الاجتماعية ، والمفاسد الخلقية ، كانت سائدة ومنتشرة من كل مكان ، وبين جميع الامم .

وقد كانت هناك بقايا من عادات حسنة ، وصفات حميدة ، وخلال طيبة ، بقيت لدى بعض الناس من عهود دعوات الانبياء السالفين عليهم السلام ، ولكنها انقلبت في اغلب الاحيان الى عادات ضارة ، وصفات سيئة ، لم تؤد الغرض الذي من اجله دعا الانبياء (ع) الى التمسك بها والتحلي بمزاياها ، فالكرم عاد اسرافا وتطاولا على الناس ، والانفاق عاد تبذيرا واتلافا للاموال فى غير وجوهها ، والشجاعة عادت تهوراً واعتداءاً على الأمنين وانتزاع مايملكونه منهم بالقوة والغلبة ، والعزة عادت تكبرا واستعلاءاً على الغرباء والضعفاء ، والتواضع عاد ذلة وضعة والحلم عاد تراجعا وجبنا ، والتدين عاد عزلة ورهبانية .. الخ ..

قال تعالى : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . » (١)

(١) سورة آل عمران آية (١٦٤)

وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام يصف حالة الناس قبل الدعوة : « ارسله على حين فترة من الرسل ، وطول هجعة من الأمم ، وانتقاض من المبرم . » (١)

وجاء في شرح هذه العبارة : الهجعة هي المرة من الهجوع وهو النوم ليلا والمراد به نوم الغفلة من ظلمات الجهالة ، وانتقاض الاحكام الالهية التي ابرمت على السنة الانبياء السابقين نقضها الناس بمخالفتها .

وقال عليه السلام ايضاً : « اما بعد فان الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس احد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدعي نبوة ولا وحياً » (٢)

وقال عليه السلام ايضاً : « بعثه والناس ضلال في حيرة ، وخابطون في فتنة ، قد استهوتهم الاهواء ، واستزلتهم الكبرياء ، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء ، في زلزال من الامر ، وبلاء من الجهل ، فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ، ومضى على الطريقة ، ودعا الى الحكمة ،

---

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبده جـ ٢ ص ٦٩

(٢) نهج البلاغه شرح محمد عبده جـ ١ ص ١٩٩

والموعظة الحسنة . » (١)

وهذه امثلة نوردها - لا على سبيل الحصر - لمعرفة مدى الانحطاط الذي منيت به البشرية عامة ، وفي مختلف ميادين حياتها .

فالوثنية كانت سائدة في جميع انحاء العالم وبين جميع الامم دون استثناء فالعرب عبدوا الاصنام وعظموها ، وجعلوها شريكة مع الله تعالى ، فكان لكل قبيله منهم صنم فى الكعبة ، ولكل بيت منهم صنم ، ولكل فرد منهم صنم ، فاذا اراد احدهم السفر كان آخر مايصنع في منزله ان يتمسح به ، واذا قدم من سفره كان اول مايصنع اذا دخل منزله ان يتمسح به ايضاً ، وتدرجوا من عبادة الاصنام والاوثان الى عبادة جنس الحجارة . روى البخاري عن ابي رجاء العطاردي قال : كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا خيرا منه القيناه واخذنا الآخر ، فاذا لم نجد حجرا ، جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ، ثم طفنا به ٢)

---

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبده جـ ١ ص ١٨٧

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٥٢ نقلا عن كتاب الاصنام ص٢٢

كما شاعت عندهم عبادة الملائكة والجن والكواكب وغيرها .

وأما الهنود فقد بلغت فيهم الوثنية مبلغا عجيبا ، وتعددت آلهتهم تعدداً هائلا ، فقد ذكرها بعضهم فقال : انها بلغت ثلاثون وثلثمائة مليون صنما ، وقد اصبح كل شيء جذاب ، وكل مرافق من مرافق الحياة الها يعبد ، وهكذا جاوزت الاصنام والتماثيل والالهة والالهات الحصر ، وأربت على العد ، فمنها اشخاص تاريخية ، وابطال تمثل فيهم الله - كما زعموا - في عهود وحوادث معروفة ، ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم ، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله ، ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس « مهاديو » الاله ، ومنهـا آلات الحرب ، والات الكتابة ، والات التناسل ، وحيوانات اعظمها البقرة ، والاجرام الفلكية ، وغير ذلك . واصبحت الديانة نسيجاً من خرافات ، واساطير واناشيد وعقائد وعبادات ما انزل الله بها من سلطان ، ولم يستسغها العقل السليم في زمن من الازمان . زد الى ذلك عبادتهم لآلة التناسل لالههم الاكبر « مهاديو » وتصويرها في صورة بشعة واجتماع اهل البلاد عليها من رجال ونساء واطفال وبنات ، وكذلك كانوا

يعبــدون النساء العاريات ، والنساء يعبــدون الرجال العراة » (١)

, اما الفرس فكانوا غارقين فى الوثنيه ، فهم من جهة يقدسون ملوكهم الاكاسرة ويعتقدون ان الدم الالهى يجري في عروقهم ، وان لهم حقا على كل انسان ، وليس لانسان حق عليهم ، وان مايرضخونه لاحد من فضول اموالهم وفتات نعيمهم انما هو صدقة وتكرم من غير استحقاق ، وليس للناس قبلهم الا السمع والطاعة . ومن جهة اخرى فقد عبدوا الشمس والقمر والنجوم واجرام السماء ثم مالبثوا ان تدرجوا الى عبـادة النار وتقديسها وبناء الهياكل والمعابد الخاصة بها (١)

وكان الصينيون وثنيين سواء منهم من كان على ديانة « لاوتسو » التي تحولت الى وثنية ، او الذين كانوا على دين « كونفوشيوس » الذي انحصرت تعاليمه فى شؤون هذه الدنيا وتدبير الامور المادية والسياسية والادارية وتركت للناس عبادة مايشاؤون من اشجار وانهار ، او الذين كانوا

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٧

على دين « البوذية » التي تحولت الى وثنية تحمل معها الاصنام حيث سارت وتبني الهياكل ، وتنصب تماثيل بوذا حيث حلت ونزلت (١).

واما الامم الاخرى فى آسيا الوسطى ، وفى الشرق كالمغول والترك واليابانيين فقد كانت بين بوذية فاسدة ، ووثنية همجية.

واما الامم الاوربية فكانت بين نصرانية وليدة ، ووثنية شائبة . ولم تكن بذات رسالة في الدين ولا بذات رأية في السياسة (٢).

والاباحية كانت منتشرة في كل امة وشائعة فى كل مكان . فالفرس كان الرجل منهم يأتي ابنته واخته وسائر المحرمات النسبية ، حتى ان ملوكهم كانوا يفعلون ذلك . فهذا يزدجرد الثاني الذي حكم في اواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بنته ثم قتلها (٣) كما ان بهرام جوبين الذي حكم فى القرن السادس تزوج باخته (٤) وكان لمبادىء

(١) المصدر السابق
(٢) المصدر السابق
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر السابق

مزدك الاثر الكبير في اباحة الاعراض وهتك الحرمات فقد ذكر الشهرستاني في الملل والنحل انه « احل النساء واباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ » فكان من اثر ذلك ان انغمست ايران في بحر من الشهوات والنزوات وقد ذكر الطبري في تاريخه ذلك فقال : « افترص السفلة ذلك واغتنموه وكانفوا مزدك واصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم ، وقوي امرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل فى داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله لايستطيع الامتناع منهم » .

وكان الزنى منتشرا ومتعارفا عند العرب ، فكان من العادات ان يتخذ الرجل خليلات ويتخذ النساء اخلاء بدون عقد . قال ابن عباس : كانوا في الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنى ويأخذون اجورهن (١)

وقد بلغت كراهة البنات الى حد الوأد ، ذكر الهيثم ابن عدي - على ما حكاه عنه الميداني - ان الوأد كان مستعملا فى قبائل العرب قاطبة . وقد ذكر القرآن الكريم

---

(١) تفسير الطبري جـ ١٨ ص ١٠٤

ذلك فقال : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الاساء ما يحكمون . » (١)

وفي الهند كانت المرأة بمنزلة الامة ، وكان الرجل قد يخسر امرأته في القمار وكان في بعض الاحيان للمرأة عدة ازواج (٢)

هذه حالة البشر قبل الاسلام فوضى واباحية ووثنية ومفاسد في كل مكان ·

---

(١) سورة النحل آية (٥٨) ، (٥٩)

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٥٠

شمول الدعوة لكل البشر

لما كان الناس على ماذكر من الجهالة ، والحيرة والضلالة ، فليس من العدل ولا هي من سجية السماء ، ان يبعث الله سبحانه رسولا الى امة واحدة من هذه الامم ، ويترك الامم الاخرى تسير في المتاهات ، وتتخبط في دياجير الظلام .

فلا بد اذن ان تكون الدعوة الاسلامية شاملة لجميع البشر وجميع الامم فى كل زمان ومكان . وعلى اختلاف الوانهم وتباين اجناسهم وقومياتهم .

قال تعالى : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لايعلمون . » (١)

وقال سبحانه : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (٢)

وقال تعالى : تبارك الذي نزل الفرقان على عبده

---

(١) سورة سبأ آية (٢٨)

(٢) سورة الانبياء آية (١٠٧)

ليكون للعالمين نذيرا » (١)

وقال عز شأنه : « واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ » (٢)

وقال تعالى : « قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً » (٣)

وقال النبي صلى الله عليه وآله مجيبا قريشا لما سألوا ابا طالب (ع) ان يسأل محمداً (ص) فقالوا : قل له : « ارسله الله الينا خاصة ام الى الناس كافة ؟ قال : بل الى الناس ارسلت كافة الى الابيض والاسود ، ومن على رؤوس الجبال ، ومن في لجج البحار ، ولا دعون السنة فارس والروم ، يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً .

فتجبرت قريش واستكبرت وقالت : والله لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا من ارضنا ، ولقلعت الكعبة حجرا حجرا .

---

(١) سورة الفرقان آية (١)

(٢) سورة الانعام آية (١٩)

(٣) سورة الاعراف آية (١٥٨)

فنزل : « وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا ، اولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ، ولكن اكثرهم لا يعلمون » (١)

وهكذا تكون الدعوة الاسلامية شاملة لكل البشر وعلى دعاة الاسلام اليوم ان يضعوا هذه الحقيقة نصب اعينهم فهم لا يفكرون فى اصلاح اوضاع امتهم الاسلامية فحسب وانما يفكرون في اصلاح اوضاع البشرية عامة على اساس من الرسالة الاسلامية الشاملة وهم لاشك سيحققون هذا الهدف الكبير السامي وذلك وعد غير مكذوب اذ لابد ان يأتى اليوم الذي يسود فيه الاسلام جميع الشعوب دون استثناء وذلك مصداق قوله تعالى : « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

---

(١) المناقب لابن شهر اشوب جـ ١ ص ٥٩ من خبر طويل رواه عن الطبري والواحدي وابن بابويه .

شمول الدعوة لكل جوانب الحياة

كما انه ليس من العدل ايضاً ان يبعث الله سبحانه رسولا يعالج بعض جوانب الحياة البشرية الفاسدة ، ويهمل الجوانب الاخرى وهي بحاجة الى العلاج .

فلا بد اذن ان تكون الدعوة الاسلامية شاملة لجميع جوانب الحياة الخاصة والعامة الفردية والاجتماعية ، فلم تكن لتهيمن على جزء من حياة الانسان فتصلحه ، وتضع له الحلول ، وتترك له اجزاء اخرى لتحكمها وتسيطر عليها دعوات اخرى . فلم يكن الاسلام ديناً يربط الانسان بخالقه فحسب ويتركه ليختار هو بنفسه روابط تربطه بابناء جنسه ومجتمعه ، بل لابد ان تكون له الهيمنة على جميع مشاعره ، وافكار ، وسلوكه ، وتصرفاته . ومن هنا كان الاسلام شريعة ينبثق عنها عقيدة ونظام : عقيدة تحفظ للانسان افكاره ومشاعره من الانحدار وراء الاوهام ،

ونظام يحفظ له سلوكه وتصرفاته ، ويهيء له وسائل الحياة الهادئة المطمئنة .

وليست هذه الصفة - وهي صفة الشمول لكل جوانب الحياة - ملصقة بالدعوة الاسلامية ادعاءاً ، ولا هي خيال يعيش في ذهنيات بعض الناس ولا يتحقق في واقعهم العملي ، وانما هي حقيقة ثابتة قائمة بنفسها ، لايكون الاسلام بدونها اسلاماً ، وطبيعة ذاتية لها ، لايمكن تجريدها عنها ومع ذلك كله فنذكر ادلة اربع على ذلك .

١ ـ القاعدة التي يستند اليها الاسلام في نظرته للكون والحياة والانسان ، التي تقول بوجود خالق للكون والحياة والانسان وهذا الخالق سبحانه متصف بجميع صفات الكمال . وليس من الكمال ان يخلق الانسان ولا يرسل له نظاماً ، كما انه ليس من الكمال ان يرسل نظاماً غير كامل ، لان الانسانية بحاجه الى النظام الكامل ولانه تعالى قادر على ايصاله اليها عن طريق الوحي وقد فعل .

٢ ـ استقراء النصوص الاسلامية من الكتاب والسنة .

فان نظرة واحدة الى النصوص الاسلامية المتشعبة ، والفقه الاسلامي الواسع ، ترينا ان الاسلام امتد بتشريعاته

الى جميع جوانب الحياة الانسانية ، ولم يغادر منها كبيرة ولا صغيرة الا وجعل لها حكماً يناسبها . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مايلي :

في مجال الاقتصاد :

« ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم . » (١)

« انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل . . » (٢) . « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . » (٣)

« خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . » (٤)

---

(١) سورة الحشر آية (٨)

(٢) سورة التوبة آيه (٦٠)

(٣) سورة الانفال آية (٤٢)

(٤) سورة التوبة آية (١٠٤)

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . . » (١) « واحل الله البيع وحرم الربا (٢)

وفي مجال الجنايات :

« ولكم من القصاص حياة ياأولي الالباب . . » (٣)

« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله . . » (٤)

« السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله والله عزيز حكيم » (٥)

« وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير

---

(١) سورة التوبة آية (٣٥)

(٢) سورة البقرة آية (٢٧٥)

(٣) سورة البقرة آية (١٧٩)

(٤) سورة النور آية (٢)

(٥) سورة المائده آية (٤١)

رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » (١)

وفي مجال الدعوة :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (٢)

« وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم » (٣)

وفي مجال الحرب :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (٤)

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين (٥)

وفي مجال السلم :

---

(١) سورة النساء آية (٩٢)

(٢) سورة النحل آية (١٢٥)

(٣) سورة الحج آية (٦٧)

(٤) سورة الانفال آية (٦١)

(٥) « البقرة » (١٩٠)

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (١)

وفي مجال السياسة الخارجية :

« الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فأنبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » (٢) « الا الذين عاهدتهم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم احداً فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » (٣)

وفي مجال الثقافة :

« فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » (٤)

وفى مجال القضاء :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو

---

(١) سورة الانفال (٦٢)

(٢) سورة الانفال آية (٥٧)

(٣) سورة التوبة آية (٥)

(٤) سورة التوبة (١٢٣)

اقرب للتقوى » (١) الى آخر ماهنالك من التشريعات في كافة المجالات .

٣ ـ القاعـــدة المجمع عليها بين جميع علماء المسلمين كافة وهي :

(ان الواقعة لاتخلو من حكم) او (ما من واقعة الا ولله فيها حكم) فما من حدث وقع في الماضي او يقع في المستقبل مهما كان نوعه الا ولله فيه حكم موجود في الشريعة الاسلامية الشاملة سواء كانت تلك الواقعة جزئية ام كلية فردية ام اجتماعية خاصة ام عامة .

٤ ـ النظرة التاريخيـة الى سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ترينا انه لم يكن يعظ الناس ويطيب قلوبهم ويطهر نفوسهم فحسب بل كان قائداً للامة وللجيش ورئيساً للدولة والادارة وإماماً للجماعة فكان يعقد المعاهدات ويقود الجيوش وينظمها « واذ غدوت من اهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال » (٢) .

وكان يحكم بين الناس ويحسم النزاع بينهم الخ . .

---

(١) سورة المائدة (٨)

(٢) سورة آل عمران آية (١٢١) .

ولقد تجلت هذه الحقيقة حتى لغير المسلمين فثبت لديهم ان الاسلام لا يشبه المسيحية وان فيه حل جميع مشاكل الانسانية فهذا العالم « و . ب . فارس » قال بعد ان اسلم :

« للاسلام احكام تامة وقوانين كاملة في جميع مراحل الحياة البشرية على هذه البسيطة في كل ناحية من النواحي الاجتماعية والادارية والعسكرية والتجارية . » (١)

وهذا العالم « فيصل . و . واكنر الهولندي » يسلم ويقول :

« ان دراسة اعمق حول الاسلام ابدت لي ان الاسلام مجموعة من قوانين واحكام كاملة لنواحي شتى دينية وأخلاقية اجتماعيه واقتصادية سياسية وقضائية هذه تعاليم اسلامية تقتنع بها الجامعة الانسانية وتجيب على جميع متطلباتها في الحياة » (١) .

ولا نذهب بعيداً فان التاريخ اثبت جدارة الاسلام في شموله واستيعابه جميع جوانب الحياة . فان الدولة الاسلامية كانت مثار اعجاب من قبل القادة والسياسيين في العالم من

(١) لماذا اخترنا الدين الاسلامي ـ محمد الرضي ص ٢١ .

(٢) لماذا اخترنا الدين الاسلامي ـ محمد الرضي ص ٦٦

حيث انتشارها في اكبر بقعة من العالم ومن حيث الاساليب التي مارستها في الحكم ومن حيث الطريقة التي عالجت بها مشاكل الحياة من كل جوانبها .

فلو كان الاسلام غير شامل ولا متكفل لحل جميع المشاكل لما استطاع ان يقف على قدميه فضلا عن سيره بخطى ثابتة وتحقيقه اهدافاً مثالية .

نعم هذا الاسلام ، وهكذا كان ، وهو هكذا لم يزل وفيه القابلية التامة على ان يثبت ذلك اليوم عندما ينزل الى معترك الحياة وعندما يصبح هو الحاكم والماسك بالزمام .

اما وأد هذه الحقيقة ، وتعفيتها من قبل بعض ابناء المسلمين ، ودعوى ان الاسلام صلة بين الانسان وخالقه فحسب ، فانها ناتجة - ويا للاسف - عن تقليد اعمى للكافر المستعمر الذي قام بعدة محاولات لانتزاع صفة الشمول هذه من الاسلام .

فمن هذه المحاولات :

١ - اقصاء التشريعات الاسلامية عن الحكم وحصرها ضمن نطاق « الاحوال الشخصية » كمحاولة اولى لاقصاءها نهائياً .

٢ ـ اسقاط الدولة الاسلامية خلال الحرب العالمية الأولى بعد تآمر دام قرناً من الزمان .

٣ ـ سن القوانين والتشريعات الغير اسلامية لتتولى صفة الدستور في بلاد المسلمين وتحكمهم .

٤ - بث وزرع الافكار الضيقة ، والمبادىء الهزيلة ، لتحتل الفراغ الفكري الهائل الذي اوجده بعد تنحية الاســلام .

٥ - ايجاد التكتلات والاحزاب الكافرة لضرب المسلمين بعضهم ببعض وتوسيع الخلافات بينهم .

٦ - محاربين العاملين في الحقل الاسلامى ، ومطاردة الدعاة الاسلاميين وبث الاشاعات الباطلة حولهم ، وكيل التهم ـ بلا حساب ـ لهم ، لا لشيء الا لأنهم طلائع البعث الاسلامى .

فانخدع بهذه المحاولات ذيليوا التفكير والمائعون من ابناء المسلمين فاخذوا يطلقون على الاســلام بأنه دين قلب وليس دستور حكم كأنهم لم يسمعوا قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (١) .

---

(١) سورة الانعام آية (٣٨) .

وقوله تعالى : « وكل شيء احصيناه في امام مبين » (١) .

وقوله سبحانه : « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (٢) .

وقوله جل شأنه : وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله . » (٣)

وقوله عز وجل : «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (٤)

وقوله جل وعلا : « ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء ورحمة لقوم يؤمنون » (٥)

وقول امير المؤمنين علي بن ابى طالب عليه السلام : فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به : ذلك

---

(١) سورة يس آية (١٢) .

(٢) سورة المائدة آية (٣) .

(٣) سورة الشورى آية (١٠)

(٤) سورة النحل آية (٨٩)

(٥) سورة يوسف آية (١١١)

القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه الا ان فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم . » (٧)

---

(٧) نهج البلاغة شرح محمد عبده ج ٢ ص ٦٩

الدَّعوَة ترفض المساوَمَة

ان الدعوة الاسلامية كل لا يتجزأ ، ولا يقبل التبعيض ، ويأبى المساومة على حساب بعض اجزاءه ورفضها ، فهي لا ترضى للانسان ان يكون مسلماً وهو يأخذ بعض الجوانب من الاسلام ويطبقها ، ويهمل الجوانب الأخرى ويتركها ، لأن ذلك يتنافى والتعاليم الاسلامية . ولأن ذلك يسبب ضياع الكل ، وفقدان الآثار المترتبة والفوائد المرجوة منه .

قال تعالى : « وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك . » (١)

وقد جاء وفد من ثقيف الى النبي صلى الله عليه وآله .

فقالوا : « نبايعك على ثلاث : لا ننحي ، ولا نكسر إلهاً بأيدينا ، وتمتعنا باللات سنة .

---

(١) سورة المائدة آية (٤٩) .

فقال صلى الله عليه وآله: لاخير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود، فاما كسر اصنامكم فذلك لكم، واما الطاغية اللات فاني غير ممتعكم بها.

قالوا: اجلنا سنة حتى نقبض ما يهدى لالهتنا، فاذا قبضناها كسرناها. فهم بتأجيلهم فنزلت هذه الآية قال قتادة فلما سمع قوله: ثم لا تجد لك به علينا نصيرا.

قال: «اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ابداً.» (٢)

وذكر المفسرون في اسباب نزول سورة «قل يا ايها الكافرون... الخ..» ان نفراً من قريش جاؤا الى النبي (ص) فقالوا له: يا محمد هلم يا محمد فاتبع ديننا نتبع دينك ونشركك في امرنا كله، تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فان كان الذي جئت به خيراً مما بايدينا كنا قد شركناك فيه واخذنا بحظنا منه، وان كان الذي بأيدينا خيرا مما في يديك كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه.

فقال صلى الله عليه وآله معاذ الله ان اشرك به غيره.

---

(٢) البحار ج ٦ ص ٤٥١ الطبعة القديمة.

قالوا :

فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك

فقال :

حتى انظر ما يأتي من عند ربي .

فنزل : قل يا ايها الكافرون . السورة . فعدل رسول الله صلى الله عليه وآله الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة ، فآيسوا عند ذلك فآذوه وآذوا اصحابه » (١)

هكذا رفض الدعوة اية مساومة وقد وبخ الله سبحانه الذين يقبلون التبعيض ويؤمنون بالتجزئة فى التعاليم الاسلامية . قال تعالى :

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون . » (٢)

فالخزي والعذاب الذين تنص عليهما الآية الكريمة ، يترتب

(١) تفسير مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٢ طبع ايران .

(٢) سورة البقرة آية (٨٥) .

على من يترك بعض الجوانب من الاسلام وان كان متمسكاً بالجوانب الاخرى فان ذلك لا يشفع له ، ولا ينجيه من الخزي والعذاب .

وهذا الداء العضال اصيب به كثير من ابناء المسلمين اليوم كنتيجة حتمية لتقليدهم الكافر المستعمر ، الذي غزا افكارهم ، واستعمر بلادهم لأنه جعل الدين في زوايا خاصة به وحصره من طقوس جامدة لا تمت الى الحياة بصلة ، وأخذ ينظر اليه بعد عملية – الفصام النكد – على انه حجر عثرة فى طريق العلم ، وعقبة كأداء فى سبيل التقدم .

وانتقلت الينا نظرته هـذه الى الدين فاصبحنا ننظر الى ديننا كما ينظر الغربي الى دينه . دونما تفريق او تمييز بين طبيعتنا كمسلمين وطبيعـة الغربيين كمسيحيين ، وبين تعاليم ديننا الملائم للنضج الفكري للبشر والموافق لبلوغ الرشد العقلي للانسان ، وتعاليم دين الغرب التي هي بقايا خرافات واوهام وشعوذة ودجل ، وبين الملابسات والظروف التي احاطت بنا والظروف والملابسات التي احاطت بالغرب .

فاصابنا الخزى في الحياة الدنيا . . وأي خزى اشد من التأخر والانحطاط فى كافة مجالات الحياة ، والغلبة على امرنا

بتسلط الكافر المستعمر علينا ونهبه لخيراتنا وسحقه لكرامتنا .

وان عذاب يوم القيامة لينتظرنا ما لم نعمل على ازالة الخزي عنا بان نأخذ الاسلام كله ، لنطبقه في كل مجالات حياتنا ، ولا نؤمن ببعض ونكفر ببعض . قال تعالى :

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ، اولئك هم الكافرون حقاً (١) »

---

(١) سورة النساء آية (١٥٠) ، (١٥١) .

تنفيذ الدعوة

وهذا الشمول الموجود فى الدعوة الاسلامية لا يمكن ان يستوعب البشرية ، وينفذ الى جميع جوانب حياتها مرة واحدة ، فيصبح الناس كلهم بين عشية وضحاها مسلمين متمسكين بكل التعاليم الاسلامية !!

ولا يمكن ان يتم تنفيذه باسلوب واحد ، فيخاطب الناس كلهم وتحت الظروف المختلفة بشكل واحد !!

وليس بالامكان عادة فرضه عن طريق المعجزات وخوارق العادات بان تمطر السماء على الناس الاسلام فيؤمنون به ويتعلمون احكامه ، وتمطر على اعدائه والواقفين في طريقه الهلاك والدمار !!

لا ان واحداً من ذلك لا يمكن !!

وان امكن ان يستوعب الاسلام جميع جوانب الحياة مرة واحدة فانه من غير الممكن باي حال من الاحوال ان يستوعب جميع البشر مرة واحدة ، لعدم امكان ايصال

الدعوة اليهم ، اما لبعدهم عن مكان الدعوة ومصدر اشعاعها واما لعدم وجودهم في زمان المرسل بها صلى الله عليه وآله

ونحن نعلم ان الدعوة الاسلامية عامة وشاملة لجميع البشر في كل زمان ومكان لقوله تعالى : «لأنذركم به ومن بلغ»

اذن : لا بد ان تمر الدعوة بمراحل وأنطقة تكون ضيقة اولا ثم تتسع تدريجياً حتى تعم جميع جوانب الحياة من جهة ، وتعم جميع البشر من جهة اخرى .

هذا من ناحية ومن ناحية ثانية لابد ان تتخذ الدعوة الاسلوب الامثل والمناسب لكل مرحلة تمر بها ، فتخاطب الناس على قدر عقولهم .

ومن ناحية ثالثة لابد للدعوة من تضحيات وفـداء وبذل للاموال والارواح لازاحة جميع العقبات التي تعترض الطريق ، وازالة جميع القوى التي تقف حائلا دون انتشار الاسلام .

فما هي المراحل ؟

وما هي الاساليب؟

وما هي التضحيات ؟

هذه أسئلة ثلاثة تفرض نفسها . وقبل الاجابة عليها ،

يأتي هذا السؤال :

هل يبقى النبي محمد صلى الله عليه وآله ينتظر حتى تكتمل لديه جميع التشريعات الاسلامية وتنزل عليه جميع الاوامر والنواهي والتعاليم ، ثم يبدأ بعد ذلك بدعو الناس اليها ؟ وبعبارة اخرى :

هل من شروط الدعوة الى الاسلام اكمال الرسالة لدى الداعية ؟ والجواب يكون بالسلب ، لأن الايجاب يلزمه تفويت الفرصة ، واضاعة الوقت لمن يمكنه الدخول في الاسلام وفيه قابلية على تقبله ، فلربما وافاه الاجل قبل اكمال الرسالة . كما يستلزمه ترك الناس في ضلالهم مدة اكمال الرسالة وهذا لا مبرر له خاصة وان الناس يحتاجون الى فرصة كبيرة كي يتعلموا فيها الاحكام والتشريعات الاسلامية ويطبقوها . وان تعلمهم لها وعملهم بها لا يتم مرة واحدة بل لا بد من التدرج معهم .

اذن نستخلص من هذا كله : ان اكمال الرسالة لدى الداعية ليس شرطاً من شروط الدعوة الى الاسلام ، بل اللازم البدء بالعمل والتبليغ بما لدى الداعية من مفاهيم جزئية للاسلام وايصالها للناس ، وممارسة الحصول على بقية المفاهيم الاسلامية

حتى تكتمل الرسالة الاسلامية بأجمعها ، فان عمليتي التبليغ والتحصيل تسيران جنباً الى جنب .

وهذا ما حدث فعلا للــــداعية الاسلامي الاول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله . فان القرآن الكريم لم ينزل عليه جملة واحدة وانما نزل تعاقباً حسب الحاجة الى التشريع وحسب الوقت المناسب .

ولنضع الآن الاسئلة الثلاث لنبدأ الاجابة عليها :

ماهي المراحل ؟..

للاجابة على هذا السؤال نقسم البحث قسمين :

١ ـ مراحل الرسالة : اي التشريعات الاسلامية .

٢ ـ مراحل الدعوة : اي نشر الرسالة وكسب اشخاص لها .

اما مراحل الرسالة :

فكما قلنا سابقاً ان القرآن لم ينزل جملة واحدة وانما نزل تعاقباً ونجوماً حسب المصلحة ووقت الحاجة قال تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . » (١)

وقد جاء في تفسير هذه الآية ما يلي :

« وقال الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هلا اتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما انزلت التوراة والانجيل

---

(١) سورة الفرقان آية (٣٢) .

والزبور جملة واحدة قال الله تعالى (كذلك) اي نزلناه متفرقاً (لنثبت به فؤادك) اي لنقوي به قلبك فتزداد بصيرة وذلك انه اذا كان الوحي متجدداً فى كل حادثة وكل أمر كان ذلك اقوى لقلبه وأزيد فى بصيرته ..... وان فى القرآن الناسخ والمنسوخ وفيه ما هو جواب لمن سأله عن امور ، وفيه ما هو انكار لما كان ، وفيه ما هو حكاية شيء جرى فاقضت الحكمة انزاله متفرقاً . » (١)

وقال تعالى في آية اخرى :

« وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . » (٢)

ومعنى فرقناه « جعلنا بعضه خبرا وبعضه أمرا وبعضه نهياً وبعضه وعداً وبعضه وعيداً وانزلناه متفرقاً لم ننزله جميعاً اذ كان بين اوله وآخره نيف وعشرون سنة .... ومعنى لتقرأه على الناس على مكث ، لتقرأه عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء ... ومعنى ونزلناه تنزيلا ، على حسب الحاجة

---

(١) تفسير مجمع البيان م ٧ ص ١٦٩ طبع ايران .

(٢) سورة الاسراء آية (١٠٦) .

ووقوع الحوادث . » (١)

وقال تعالى ايضاً : « ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه . » (٢)

ذكر المفسرون في هذه الآية عدة وجوه منها .

« ان معناه لا تسأل انزال القرآن قبل ان يأتيك وحيه لأنه تعالى انما ينزله بحسب المصلحة وقت الحاجة . » (٣)

فكان اول ما دعى اليه النبي صلى الله عليه وآله هو التوحيد لله سبحانه والتصديق بنبوته « قولوا : لا إله الا الله تفلحوا » « اني رسول الله اليكم » « ادعوكم الى عبادة الله ، وخلع الانداد والاصنام ، وادعوكم الى شهادة ان لا إله الا الله واني رسول الله ، فأجيبوني تملكوا بها العرب ، وتدين بها لكم العجم ، وتكونوا ملوكا فى الجنة . » (٤)

ثم اخذت التشريعات والاحكام والاوامر والنواهي يتلو

---

(١) تفسير مجمع البيان م ٦ ص ٤٤٥ طبع ايران .

(٢) سورة طه آية (١١٤) .

(٣) تفسير مجمع البيان م ٧ ص ٣٢ ط ايران .

(٤) إعلام الورى فى أعلام الهدى ص ٢٦ .

بعضها البعض ، ذكر ابن شهراشوب في كتاب المناقب « العبادات لم يشرع منها مدة مقامه بمكة الا الطهارة والصلاة ، وكانت فرضاً عليه وسنة لأمته ، ثم فرضت الصلوات الخمس بعد اسرائه وذلك في السنة التاسعة من نبوته . فلما تحول الى المدينة فرض صيام شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة في شعبان ، وحولت القبلة وفرض زكاة الفطر وفرضت فيها صلاة العيد ، وكان فرض الجمعة في اول الهجرة بدلا من صلاة الظهر ، ثم فرضت زكاة الاموال ، ثم الحج والعمرة والتحليل والتحريم والحظر والاباحة والاستحباب والكراهة ثم فرض الجهاد ثم ولاية امير المؤمنين عليه السلام ونزل : اليوم اكملت لكم دينكم . » (١)

وذكر المسعودي في مروج الذهب : « وفرض عليه الجهاد وذلك في سنة احدى من سني الهجرة وهي السنة التي نزل فيها الأذان وكانت سنة اربع عشرة من المبعث » (٢) وهذا الخبر يمكن ترجيحه على ما ذكره ابن شهراشوب : من ان فرض الجهاد جاء متأخراً الا ان يحمل قوله لا على

(١) ج ١ ص ٤٣ .

(٢) ج ٢ ص ٢٨٥

الترتيب فلاحظ .

وهكذا اكتمل التشريع الاسلامي وشمل جميع جوانب الحياة البشرية فلم يدع صغيرة ولا كبيرة ، جزئية او كلية الا وجعل لها حكماً يلائمها وحلا يناسبها ،

« وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . » (١)

« اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً . » (٢)

وما فارق الرسول صلى الله عليه وآله الحياة الدنيا والتحق بالرفيق الاعلى الا وقد أتم التبليغ ووجه الدعوة وأدى الرسالة على اكمل ما يرام .

وأما مراحل الدعوة :

فنجد الخطاب السماوي والوحي المنزل موجهاً - قبل كل احد - الى فرد واحد وهو الرسول صلى الله عليه وآله المخاطب بقوله تعالى :

---

(١) سورة الانعام آية (١١٦) .

(٢) سورة المائدة آية (٣) .

« إقرأ بأسم ربك الذي خلق ... » (١)

ليكون على علم بأنه رسول الله ... وانه داعية اليه ...

وبانتقال الداعية الاسلامى الاول صلى الله عليه وآله من غار حراء الى دار زوجه خديجة فى مكة ، انتقلت الدعوة الاسلامية الى الداعية الاسلامى الثاني الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام والى الداعية الاولى من جهة النساء خديجة بنت خويلد ...

« وكان اول من دعاه الرسول الى الاسلام علي بن ابي طالب وخديجة ام المؤمنين فقد اسلما وآمنا ، وصدقا برسالته قبل الناس كافة ، لأنهما فى بيته وأقرب الناس اليه ، وأعرفهم بمنزلته ومكانته ، وآرائه ومبادئه ... » (٢)

ثم اسلم زيد بن حارثة وكان غلاماً في دار النبي صلى الله عليه وآله وهكذا اصبح اول بيت فى الاسلام ، قد شملت الدعوة سائر افراده (١)

---

(١) سورة العلق آية (١)

(٢) حياة امير المؤمنين - محمد صادق الصدر ص ٥١

(٣) ذكر اليعقوبى فى تاريخه « وكان اول من اسلم خديجة *

ولكن الدعوة الاسلامية لا يمكن ان تبقى في بيت ، بل يجب ان يتسع نطاقها وتمتد جذورها لتدخل سائر بيوت العشيرة ، تعرض عليهم الدعوة ليكونوا على علم بها وليحددوا مواقفهم منها في المستقبل القريب والبعيد ، فمن يا ترى هذه العشيرة ؟

اليست عشيرة محمد صلى الله عليه وآله هي اقرب الناس اليه ، والاقربون اولى بالمعروف ، وأي معروف اعظم من الدعوة الاسلامية ، وجاء الوحي معلنا « وانـــذر عشيرتك الاقربين ... » (١)

---

* بنت خويلد من النساء وعلي بن ابي طالب من الرجال ثم زيد بن حارثة ثم ابو ذر ... » ج٢ ص ١٧ وذكر محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ص١٠٢ فقال :

« وكذلك كان علي اول رجل اسلم ومن بعده اسلم زيد بن حارثة مولى النبي وبذلك بقي الاسلام محصورا في بيت محمد فيه وفي زوجه وابن عمه ومولاه ، وظل يفكر كيف يدعو قريشا اليه وهو يعلم ما هي عليه من شدة البأس وبالغ التعلق بعبادة اباثها واصنامهم » .

(١) سورة الشعراء اية (٢١٤)

وهكذا تتدرج الدعوة ويتسع افقها وتتخطى مراحلها ويأتي الخطاب الى النبي صلى الله عليه واله :

« وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون . » (١)

« هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (٢)

« وكذلك اوحينا اليك قراناً عربياً لتنذر ام القرى ومن حولها . » (٣)

ولكن الدعوة ليست ضيقة الاهداف ، محدودة الغايات ، وانما هي دعوة عالمية انسانية ، فلم تكن حكراً على امة من الامم او قوم من الاقوام قال تعالى :

« وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون . » (٤)

---

(١) سورة الزخرف اية (٤٤)

(٢) سورة الجمعة اية (٢)

(٣) سورة الشورى اية (٧)

(٤) سورة سبأ ٢٨)

ولم تكن الدعوة الاسلامية لتقف عند هذا الحد ، انمـــا ليست لمرحلة زمنية معينة ينتهي دورها بانتهائها ، انها تتخطى الزمان ، وتستقبل الاجيال ، لا تعترف بالحدود الاقليمية ولا تؤمن بالنعرات القومية ، ولا تخضع للفترات الزمنية ، فهي ليست دعوة لقومية واحدة ، ولا لمكان واحد ، ولا لزمان واحد قال تعالى :

« واوحى الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ . » (١)

وبهذا نجد الدعوة الاسلامية تصل الى اوسع مدى في شمولها الكل الاجيال في كل زمان ومكان ، بذلك الصوت المجلجل الذي اطلقه الرسول صلى الله عليه وآله قبل ان يمضي الى ربه . وبهذا لابد من وجود دعاة عاملين من بعده يدعون الناس الى دعوته . لكي لا يبقى على الارض انسان لم تبلغه الدعوة ، ويكون الدين كله لله .

---

(١) سورة الانعام اية (١٩)

ما هي الأساليب ؟..

اتخذت الدعوة الاسلامية الاساليب الهادئة المركزة لدعوة الناس الى رحاب الاسلام وانتشالهم من هوة الجاهلية فخاطبت الالباب والعقول ونفذت الى اعماق القلوب فتفتحت لها افقالها فكان الفرد والجماعة والقبائل وانصاف القبائل يقبلون على الاسلام ويدخلون فيه ويعتنقون مبادئه بوجدانهم الحي دون اكراه او اجبار .

قال تعالى :

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي . » (١)

وذكر المجلسي :

« كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك الا ان يؤووه ويمنعوه ويقول : لا اكراه احداً منكم على

---

(١) سورة البقرة آية (٢٥٦)

شيء من رضي منكم بالذي ادعوه اليه فذلك ومن كره لم اكرهه وانما اريد ان تحرزوني مما يراد بي من القتل حتى ابلغ رسالات ربي وحتى يقضي الله عزوجل لي ولمن صحبني بما شاء الله فلم يقبله احد منهم . » (١)

وقال تعالى :

« انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن فمن اهتـــدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين » (٢)

فبهذا الهدوء المتزن سارت الدعوة الاسلامية فاستجاب لها من استجاب ، واعرض عنها من اعرض ، اذ انها كالمطر اذا نزل على ارض صالحة اهتزت وربت وانبتت ، واذا نزل عــلى ارض سبخة لم تنبت شيئاً ، او انهـا كما قال الشاعر :

كقطر صار فى الاصداف درآ
وفي شدق الافاعــي صار سما

---

(١) البحار جـ ١٩ ص٥ ، ص٦ الطبعة الحديثة

(٢) سورة النحل آية ٩١ ، ٩٢

فليس على الداعية للاسلام لوم ، اذا وجد من لا يستجيب لدعوته .

قال تعالى .

« فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » (١).

وجاء في تفسيرها :

« فتول عنهم اي فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ ، (وذكر) فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم . » (٢)

وقال تعالى :

« فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » (٣)

وجاء في تفسيرها « فاعرض عمن تولى اي عن دعوته

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٤ ، ٥٥

(٢) البحار جـ ١٨ ص١٦٥ الطبعة الحديثة

(٣) سورة النجم آية (٢٩)

والاهتمام بشأنه فان من كانت الدنيا منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا . » (١) والعياذ بالله .

وليس للداعية الى الاسلام أن ييأس ويترك دعوته فانه سيجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية ، كما سيلاقي آذاناً صماء وقلوباً كالحجارة الصماء واشد قسوة .

بل عليـه ان يواصل سيره فى دعوته الى الله سبحانه ، متبعاً قوله تعالى : « خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين . » (٢)

وقوله تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن . » (٣) ومقتفياً اثر الرسول صلى الله عليـه وآله ، واثر الائمة المعصومين عليهم السلام واثر الدعاة المسلمين الاولين . معتبراً ومستفيداً من الاساليب التي مارسوها فى دعوة الناس الى الاسلام .

---

(١) البحار جـ ١٨ ص١٦٥ الطبعة الحديثة

(٢) سورة الاعرف آية (١٩٩)

(٣ سورة النحل آية (١٢٥)

وهذه نماذج من اساليب الدعوة انقلها ليقتدي بها الدعاة الى الله تعالى ، ولتكون لهم نبراساً ودليلاً ، يستضيئون به ويسيرون على اثره :

١ ـ الاتصال الجماعي :

للجماهير اثر كبير في تحمل المسؤوليات والاضطلاع بمهام الامور وتهيئة اسباب نجاحها . فلا بد من توعيتهم والاتصال المباشر بهم والقاء الخطب عليهم ليعرفوا مسؤولياتهم ويؤدوا دورهم كما ينبغي بعد تهيئتهم .

وقد مارس النبي صلى الله عليه وآله هذا الاسلوب منذ بداية الدعوة فقد صعد ذات يوم فوق جبل الصفا فجعل ينادي :

يا بني فهر . يا بني عدي . . فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر الخبر فاجتمعوا وكان فيهم ابو لهب بن عبد المطلب .

فقال صلى الله عليه وآله :

« ارأيتم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي ؟

قالوا : نعم : ماجربنا عليك كذباً

قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال ابو لهب : تباً لك الهذا دعوتنا ؟

فانزل الله في شأنه : تبت يدا ابي لهب وتب . .

ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وآله لى عشيرته الاقربين .

فقال : ان الرائد لا يكذب اهله ، واني لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا اله الا هو ، اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقضون ، ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسناً ، وبالسوء سوءاً ، وانها الجنة ابداً ، او لنار ابداً . » (١)

وجاء في البحار تحت عنوان « باب المبعث واظهار الدعوة وما لقي صلى الله عليه وآله من القوم . » مايلي :

« ولما انزل الله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) قام رسول الله صلى الله عليه وآله على الصفا ونادى في ايام الموسم : ايها الناس اني رسول الله رب

---

(١) دراسات اسلامية ـ محمد عبدالرحمن الجديلي ص٥٠ ، ٥١

العالمين فرمقه الناس بابصارهم قالها ثلاثاً ثم انطلق حتى اتى المروة ثم وضع يده في اذنه ثم نادى ثلاثاً باعلى صوته : يا ايها الناس اني رسول الله اليكم فرمقه الناس بابصارهم ورماه ابو جهل قبحه الله بحجر فشج بين عينيه وتبعه المشركون بالحجارة فهرب حتى اتى الجبل فاستند الى موضع يقال له المتكأ . الخ . » (١)

٢ ـ الاتصال الفردي :

كان النبي صلى الله عليه وآله . يتحرى في القاء خطبه امام الملأ من قريش وغيرهم دعوة الناس وافهامهم انه رسول ، وانه منذر ، وانه داعية الى الله تعالى . ليشيع امره وينتشر خبره ويتسامع الناس به فى كل مكان وبذلك يدنو منه ويستجيب لدعوته من يرغب فيها طائعاً ، وينصرف عنه من يرغب عنها معرضاً .

وكان من جملة من استجاب عمار بن ياسر بعد ان فكر ـ كما فكر غيره ـ فيما يدعو اليه محمد صلى الله عليه وآله ، فانجه يطلب الداعية .

---

(١) البحار جـ ١٨ ص٢٤١ ، ص٢٤٢ الطبعة الحديثة

« وبدت دار الارقم - من بعد - امام عمار بن ياسر ، وهو مسرع الخطا اليها ساكنة الجوانب ، ويلتفت عمار بن ياسر يمنة ويسرة فانه شعر تماماً بما لقريش من رقباء حول هذه الدار ، ينقلون اليها كل مايدور فيها ، وليس لعمار بن ياسر من قوم ، ولا من منعة .

ولكن ما لعمار بن ياسر وهذا الضعف ؟ فتقدم نحو الدار . وهنا وجد نفسه امام رجل آخر . . وهو صهيب بن سنان الرومى ، احد الغرباء فى قريش .

- ماذا تريد ياصهيب ؟

- ماذا تريد انت ياعمار ؟

- اريد ان ادخل على محمد فاسمع كلامه .

- وأنا اريد ذلك .

ودخل الاثنان ، فعرض عليهما النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام . فأسلما ، ثم مكثا يومهما على ذلك حتى امسيا ، ثم خرجا يستخفيان وعرض عمار الاسلام على ابيه وأمه فأسلما . » (١)

---

(١) شهداء الاسلام للدكتور علي سامى النشار ص٧

وكان لاسلوب الاتصال الفردي هذا الاثر الكبير في نشر الدعوة بين الناس فكل من يستمع الى كلمات النبي صلى الله عليه وآله ، او يسمعها يبقى مفكرا في مغزاها وما ترمى اليه من اهداف ، حتى ان بعضهم كان يقضي نهاره كله ومعظم ليله ساهراً يفكر فيما يرن في اذنه من صدى صوت الداعية ، وعندما يأوى الى فراشه ليهجع قليلا يرى في منامه انعكاساً لدعوة محمد صلى الله عليه وآله من اثر ذلك التفكير .

فقد ذكر في سبب اسلام الكثير انهم رأوا في المنام رؤيا فجاؤا الى النبي (ص) وقصوا رؤياهم وصدقوها باسلامهم .

ومن هؤلاء خالد بن سعيد فقد ذكروا انه رأى في النوم النار ورأى من فظاعتها واهوالها أمراً مهولا ، ورأى انه على شفيرها وان اباه يريد ان يلقيه فيها ورأى رسول الله (ص) آخذ بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وقال احلف بالله ان هذه لرؤيا حق ، وعلم ان نجاته من النار تكون على يد رسول الله (ص) فأتاه فقال الى اي شيء تدعو ؟

قال : « ادعو الى الله وحده لاشريك له ، وان محمداً

عبده ورسوله ، وتخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فأسلم . » (١)

وهكذا نجد اسلوب الاتصال الفردي يجذب الى الدعوة دعاة مخلصين حملوا الدعوة ووعوها وضحوا من اجلها .

وكان منهم ابو ذر الغفاري (رض) وقد ورد ان علياً (ع) استضاف اباذر ثلاثة ايام لا يسأله عن شيء وهو لا يخبره ثم في الثالث قال ما امرك ؟ وما اقدمك هذه البلدة ؟ قال : له ان كتمت علي اخبرتك . قال : فاني افعل قال له : بلغنا انه خرج هنا رجل يزعم انه نبي فارسلت اخي ليكلمه ولم يشفني من الخبر فاردت ان القاه . فقال له اما انك قد رشدت هذا وجهي اليه فاتبعني ادخل حيث ادخل فان رأيت احداً اخافه عليك قمت الى الحائط كاني اصلح نعلي وفي لفظ كاني اريق الماء فامض انت . قال ابو ذر : فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له : اعرض علي الاسلام فعرضه علي فاسلمت مكاني . » (٢)

---

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص٣١٧

(٢) السيرة الحلبية جـ ١ ص٣١٦

٣ - إعداد دعاة عاملين وارسالهم للخارج :

اهتم النبي صلى الله عليه وآله بتركيز دعوته في اذهان من يجد فيهم الكفاءة والمقدرة والقابلية ممن اسلم ليكون منهم دعاة واسعي الافق ، بعيدي النظر ، يعرفون كيف يخاطبون الناس ويدعونهم الى الاسلام عن طريق الدليل والبرهان .

فلما بلغ عدد المسلمين ثلاثون ونيفاً وكان من بينهم الارقم بن ابي الارقم المخزومي وهو رجل ذو منعة وذو عشيرة ويمتلك داراً محترمة اختار النبي صلى الله عليه وآله داره ليجتمع بها المسلمون فكان يعلمهم الدين ويقرؤهم القرآن الكريم .

ولما وجد الاسلام طريقه الى يثرب « بعث النبي مصعب ابن عمير ليتعهد انتشار الاسلام في المدينة .ويقرأ على اهلها القرآن ويفقههم فى الدين . فدخلت في الاسلام جموع غفيرة من اهل يثرب . » (١)

وفي خبر آخر انه صلى الله عليه وآله بعث الى المدينة مع مصعب بن عمير بابن ام مكتوم « يعلمان من اسلم منهم

---

(١) الرسول القائد ص٣٨ الطبعة الاولى - محمود شيت خطاب

القرآن ويعلمانهم اي من اراد ان يسلم الاسلام ، يفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام » (١)

وهكذا تتوالى بعوثه « ثم بعث رسول الله (ص) علياً (ع) الى اليمن ليدعوهم الى الاسلام وقيل ليخمس زكاتهم ويعلمهم الاحكام ويبين لهم الحلال والحرام والى اهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم » (٢)

ولما اسلم ابو ذر الغفاري وعلمه النبي صلى الله علية وآله الاسلام ولاقى مالاقى من المشركين نتيجة اعلانه لاسلامه وعدم كتمانه له ، بعثه الى قومه ليدعوهم الى الاسلام قال له النبي صلى الله عليه وآله : « اني قد وجهت الى ارض ذات نخل فلا احسبها الا يثرب ، فهل انت مبلغ عنى قومك لعل الله عزوجل ان ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟

قال ابو ذر : نعم افعل ، وانطلق ابو ذر الى غفار تملو شفتيه ابتسامة الرضا والاطمئنان مغتبطاً بما من الله عليه من نعمة الهدى والايمان وما ان لقى امه واخاه حتى عرض عليهما فى صراحة وبراعة وحسن كياسة قصة دينه الجديد

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٢ ص٩

(٢) إعلام الورى ص ٧٩

فقال كل منهما في غبطة وارتياح : مابي رغبة عن هذا الدين فاني قد اسلمت وصدقت . سر ابا ذر اسلام اهل بيته ، ولكن اخلاصه يقتضيه الا يرضى بهذا الحظ القليل لهذا الدين الجليل . ها هو ذا يخرج من بيته مخلصاً لله ، داعية لدين الله ، فيجد القوم جالسين عند سيدهم خفاف بن رخصة الغفاري ، آخذين باطراف الحديث ، فيحول مجرى حديثهم في حكمة بارعة الى نبأ ظهور فجر جديد يخرجهم من الظلمات الى النور ، ومن الجهالة الى المعرفة ، ومن الكفر الى الايمان ، ويبدلهم من الفقر والذل الى العزة والسلطان .

لقي ابو ذر اول الامر من قومه الوانا من الاعراض والمعارضة والتعنت والتهكم ، فلم تتزلزل عقيدته ، ولا استكانت عزيمته ، بل استعان بالله . فأضفى الله عليه الفصاحة والبيان والحجة والبرهان كان بها آخر المطاف هو المجلي في الميدان .

وبحسب ابي ذر ان قال لهم : « قدمت يوماً لبنا لمعبودي في الجاهلية وهو صنم سماه ـ وما رجعت خطوات حتى جاء كلب فشرب اللبن وبال على الصنم !! .
أرب يبول الثعلبان برأسه ؟

ألا ذل من بالت عليه الثعالب :

فتدبروا ولا تلغوا عقولكم يافوم :

كل من يرتضي الحجارة ربا

عقله والذي ارتضاه سواء

عندها اسلمت غفار ، واسلم سيد القوم اولا ، وناموا ليلتهم الاولى في كنف دينهم الجديد بعد اذ هداهم الله على يدي ابي ذر هذا الصراط السوي المستقيم . » (١)

وهكذا كان نجاح هـــذا الاسلوب فى الدعوة جدير لاجتذاب اكبر عـدد ممكن من الناس الى صفوف الدعاة الى الله .

٤ ـ العرض على القبائل أيام الموسم :

كانت مكة المكرمة تقصدها العرب وتعظمها قبائلها لانها مقر اصنامهم ومركز ديانتهم ، وهي بالاضافة الى ذلك مدينة تجارية هامة ، لانها واقعة بين الشام واليمن فتقام فيها الاسواق الموسمية العامرة . ويتبارى فيها الشعراء والخطباء في تعداد المفاخر والبطولات .

ولما رأى النبي صلى الله عليه وآله تلك الجفوة من

(١) التربية الاسلامية السنة الخامس العدد الثامن ص٤٧٦

اهل مكة وذلك الاعراض الشديد عنه وعن دعوته اخذ يعرض نفسه على القبائل التي تقصدها وتقيم فيها ايام الموسم عساه يجد منهم مستجيباً وناصراً .

قال ابن اسحق : « فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من امره كلما اجتمع له الناس بالموسم اتاهم يدعو القبائل الى دين الله والى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الاسلام وعرض عليه ماعنده . »

وقال ايضاً : « واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه .

واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلباً فى منازلهم الى بطن منهم يقال لهم : بنو عبد الله وعرض عليهم نفسه حتى انه ليقول لهم : يابني عبد الله ان الله عز وجل قد احسن اسم ابيكم فلم يقبلوا منه ماعرض عليهم .

واتى رسول الله صلى الله عليه بنى حنيفة في منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكن احد من

العرب اقبح عليه ردا منهم

واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس :

والله لو اني اخذت هذا الفتى من قريش لاكلت به العرب ثم قال : أرأيت ان نحن بايعناك على امرك ثم اظهرك الله على من خالفك ايكون لنا الامر من بعدك ؟ قال : الامر لله يضعه حيث يشاء قال : أفتهدف نحورنا للعرب دونك فاذا اظهرك الله كان الامر لغيرنا ! ! لاحاجة لنا بامرك فأبوا عليه ، فلما صدر الناس رجعت بنو عامر الى شيخ لهم قد ادركته السن حتى لايقدر ان يوفي معهم المواسم فكانوا اذا رجعوا اليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم احد بنى عبد المطلب يزعم انه نبى يدعونا ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال : يابني عامر هل لها من تلاف ؟

هل لذناباها من مطلب ؟ والذي نفس فلان بيده ماتقولها

اسماعيلي قط وانها لحق فاين رأيكم كان عنكم ؟ » (١) .

و « قدم سويد بن الصامت من الآوس الى مكة حاجاً فتصدى له الرسول ودعاه الى الاسلام فقال سويد : ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة واخبر قومه الاوس واعدائهم الخزرج من اهل المدينة . وخرج الرسول يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج فرأى سبعة رجال من الخزرج عند العقبة فعرض عليهم الاسلام فأجابوه وصدقوه فلما عاد هؤلاء الى المدينة ذكروا اسلامهم لقومهم ودعوهم الى الاسلام فانتشر الاسلام في المدينة » . (٢)

وفي سيرة احمد زيني دحلان « اعلم انه صلى الله عليه وسلم اخفى رسالته في اول امره بأمر من الله تعالى ثم اعلن بها في السنه الرابعة من النبوة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافي المواسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي اليهم في اسواق الموسم وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز وكانت العرب

---

(١) التربية الاسلامية السنة السابعة العدد الثالث ص٢٤

(٢) الرسول القائد ص٣٨

اذا احتجت (اي ارادة الحج) تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوماً ثم تجيء الى سوق ذي المجاز فتقيم به ايام الحج وكان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه عليهم ويدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه . »(١)

« وروى الواقدي : انه صلى الله عليه وسلم اتى بنى عبس وبنى سليم وبني محارب وفزارة ومرة وبني النضر وعذرة والحضارمه فردوا عليه صلى الله عليه وسلم اقبح الرد وقالوا : اسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك . »(٢)

٥ - العرض على القبائل المجاورة :

ان من يسعى لتحقيق هدفه والوصول الى مطلبه ، لا تقف دونه الحواجز ولا تعوقه العقبات ، فتتساوى عنده الاوطان ويكون المكان الذي يحقق له رغباته هو الوطن الذي يألفه وينتقل اليه ، فمثلا ان الانسان الساعي فى تحصيل رزقه اذا وجد الامور قد ضاقت به وانسدت عليه ابوابها في مكان

---

(١) سيرة احمد زيني دحلان ص٢٩٦ من هامش السيرة الحلبية جـ ١

(٢) المصدر نفسه ص٢٩٧

يخرج منه ويتركه الى غيره ملتمساً رزقه طالباً استدرار عيشه عليه . وكذلك نجد طالب العلم يفارق بلده واهله فى سبيل غايته ومطالبه . فما ظنك بصاحب الدعوة عندما يرى اهل مكة وقد تحجرت عقولهم امام دعوته وضاقت بها صدورهم ..

أتراه يتخاذل وييأس وتضعف عزيمته ؟ .

ام يفكر فيمن يعرض عليهم دعوته من غير اهل مكة وفي غير مكة لعلهم يستجيبون له ، وهو المبعوث لكل الناس وليس لأهل مكة فحسب ؟

انه فكر ان يعرض نفسه على القبائل المجاورة عساه يجد فيهم تصديقاً او منعة ، خاصة وان عمه ابا طالب الذي كان يحميه من اهل مكة قد مات وعلى هذا فقد ذكر المؤرخون : « لما توفى ابو طالب اشتد البلاء على رسول الله اشد ما كان فعمد الى ثقيف بالطائف رجاء ان يؤوه فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة ثقيف يومئذ وهم اخوة ، عبد ياليل ابن عمرو وحبيب بن عمرو ، مسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه وشكى اليهم البلاء وما انتهك منه قومه فقال احدهم : أمرق استار الكعبة ان كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر اعجز الله ان يرسل غيرك ؟ ! وقال الآخر والله لا

اكلمك بعد مجلسك هذا ابدا والله لئن كنت رسول الله لأنت اعظم من ان اكلمك ، ولئن كنت تكذب على الله لأنت شر من ان اكلمك وتهزوا به وافشوا في قومهم الذي راجعوه به فقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله بين صفيهم ما كان يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة وقد كانوا اعدوها حتى ادموا رجليه فخلص منهم ورجلاه تسيلان دماً فعمد الى حائط من حوائطهم واستظل في ظل شجرة منهم وهو مكروب فاذا فى الحائط عتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله فلما رأياه ارسلا اليه غلاماً لهما يدعى عداس وهو من اهل نينوى معه عنب . فلما جاءه عداس قال له رسول الله : من اى ارض انت ؟ قال : انا من اهل نينوى فقال له (ص) من مدينه الرجل الصالح يونس ابن متى فقال له عداس : ما يدريك من يونس بن متى ؟ فقال رسول الله (ص) وكان لا يحقر احداً ان يبلغه رسالة ربه : انا رسول الله ، والله تعالى اخبرنى خبر يونس بن متى فلما اخبره بما اوحى الله اليه من شأن يونس بن متى خرّ عداس ساجداً لله وجعل يقبل قدميه وهما تسيلان دما فلما بصر عتبة

وشيبة ما يصنع غلامهما سكتنا فلما اتاهما قالا له : ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته لاحد منا . قال : هذا رجل صالح اخبرني بشيء عرفته من رسول بعثه الله الينا يدعى يونس بن متى فضحكا وقالا : لا يفتننك من نصرانيك فانه رجل خداع . فرجع رسول الله (ص) الى مكة .»(١)

وهكذا فان هذا الاسلوب قد اتبعه النبي (ص) بالرغم من جسامة التضحية التي قدمها وقلة الفائدة التي حصل عليها ان صح التعبير والا فان اسلام عداس وهو فرد واحد لم يكن قليل الفائدة وهو صلى الله عليه وآله القائل : يا علي لئن يهدي الله بك رجلا واحداً احب اليك مما طلعت عليه الشمس . لذا فان اسلام فرد واحد وانضمامه الى صفوف الدعاة يعتبر مكسباً تهون دونه التضحيات .

٦ ـ الكتابة :

استعمل النبي صلى الله وآله اسلوب الكتابة فى الدعوة الى الاسلام بالرغم من ان الكتابة لم تكن منتشرة في الجاهلية بل كانت ذات نطاق ضيق محدود فقد ذكر المؤرخون انه : « لما

---

(١) إعلام الورى ص ٣٥ ، ٣٦

جاء الاسلام لم يكن في قريش من يحسن القراءة والكتابة الا سبعة عشر رجلا . » (١)

فقد كان بعض الملوك والرؤساء ومن وافاه الحظ من سائر الناس يجيدونها ، وعلى كل حال فقد راسل النبي صلى الله عليه وآله كثيراً من الملوك والرؤساء ودعاهم الى الاسلام عن طريق الكتابة اليهم

قال اليعقوبي في تاريخه :

« وكتب صلى الله عليه وآله وسلم الى رؤساء القبائل يدعوهم الى الاسلام . » (٢)

« وكتب الى نجران : بسم الله من محمد رسول الله الى اسقفة نجران بسم الله فاني احمد اليكم آله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب اما بعد : ذلكم فاني ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد فان ابيتم فالجزيه وان ابيتم آذنتكم بحرب والسلام . » (٣)

---

(١) البلاذري فتوح البلدان ص ٤٥٧ .

(٢) جـ ٢ ص ٦٩ .

(٣) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٧٠ ، ٧١ .

وكتب الى قيصر الروم يدعوه الى الاسلام بما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . اما بعد : فاني ادعوك بداعية الاسلام فاسلم تسلم ويؤتك الله اجرك مرتين (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فان توليت فان عليك اثم الاريسيين .

فكتب هرقل : الى احمد رسول الله الذى بشر به عيسى من قيصر ملك الروم انه جاءني كتابك مع رسولك واني اشهد انك رسول الله نجدك عندنا في الانجيل بشرنا بك عيسى بن مريم واني دعوت الروم الى ان يؤمنوا بك فابوا ولو اطاعوني لكان خيراً لهم ولوددت أني عندك فاخدمك واغسل قدميك . » (١)

وفيما رواه ابو عبد الله الحافظ باسناده عن محمد بن اسحاق قال : « بعث رسول الله عمرو بن امية الضميري الى النجاشي

(١) تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص ٦٧

في شأن جعفر بن ابي طالب واصحابه وكتب معه كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي الاضحم ملك الحبشة سلام عليك فاني احمد اليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه واني ادعوك الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتومن بي وبالذي جاءني فاني رسول وقد بعثت اليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين فاذا جاؤك فاقر ودع التجبر واني ادعوك وجنودك الى الله وقد بلغت ونصحت فاقبلوا والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب النجاشي الى رسول الله :

بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي الاضحم بن الجر سلام عليك يانبي الله ورحمة الله وبركاته لا إله الا الله الذي هداني الى الاسلام وقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك واصحابه فاشهد انك يارسول الله صادق

مصدق قد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت اليك يارسول الله اربحان بن الاضحم بن الجر فاني لا املك الا نفسي وان شئت ان آتيك فعلت يا رسول الله فاني اشهد ان ما تقول حق . ثم بعث الى الرسول بهدايا وبعث اليه بمارية القبطية ام ابراهيم وبعث اليه بثياب وطيب كثيرة وفرس وبعث اليه بثلاثين رجلا من القسيسين لينظروا الى كلامه ومقعده ومشربه فوافوا المدينة ودعاهم رسول الله الى الاسلام فآمنوا ورجعوا الى النجاشي . » (١)

انظر كيف أثرت دعوة الرسول صلى الله عليه وآله في هرقل والنجاشي وانهما لم تأخذهما العزة بالاثم بل اذعنا للحق واقبلا على الاسلام بكل جوارحهما حتى ان كلاً منهما بدأ باسم النبي صلى الله عليه وآله وقدمه على اسمه في جوابه لرسول الله . ولم ينظر لنفسه انه ملك وانه . . . بل تضائل كل ما كان عنده من الكبرياء والعظمة امام عظمة الاسلام ودعوة الرسول . ولم يكتف هرقل بان يؤمن بالاسلام بل اصبح

(١) اعلام الورى ص ٣٠ .

داعياً الى الاسلام فقد عرف ان الاسلام هو دين الدعوة فلا يمكن ان ينطوي عليه الانسان ، انظر اليه يكتب للنبي صلى الله عليه وآله « واني دعوت الروم الى ان يؤمنوا بك فأبوا ولو اطاعوني لكان خيراً لهم »

وانظر الى النجاشي كيف يكتب للنبي صلى عليه وآله « فاني لا املك الا نفسي »

مع انه ملك الحبشة آنذاك ولم ينس نفسه ولكن الاسلام الذي آمن به اشعره بان المالك هو الله والخلق كلهم عبيد الله وليسوا ملكا لاحد سواه .

هذا نمط ممن استجاب للدعوة وآمن بها وهناك نمط آخر ممن لم يستجب ولم يؤمن ولكن البون بينهما شاسع فقد كتب رسول الله صلى الله عليه وآله الى كسرى يدعوه الى الاسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله واشهد ان لا إله الا الله وان محمد عبده ورسوله واني ادعوك بدعاء الله واني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان

حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم وان توليت فان اثم المجوس عليك . » (١)

« فلما وصل اليه الكتاب مزقه واستخف به وقال : من هذا الذي يدعوني الى دينه ويبدأ باسمه قبل اسمي ؟ وبعث بتراب فقال عليه السلام : مزق الله ملكه كما مزق كتابي اما انكم ستمزقون ملكه وبعث الي بتراب اما انكم ستملكون ارضه فكان كما قال . » (٢)

وكتب صلى الله عليه وآله الى بني حارثة بن عمرو يدعوهم الى الاسلام :

« فأخذوا كتاب النبي عليه السلام فغسلوه ورقعوا به اسفل دلوهم فقال النبي عليه السلام مالهم اذهب الله عقولهم قال : فهم اهل رعدة وعجلة وكلام مختلط وسفه » (٣)

هذه نماذج من اساليب الدعوة التي استعملها الرسول صلى الله عليه وآله والملاحظ على الدعوة الاسلامية انها في سبيل

---

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير ج٢ ص ١٤٤ .

(٢) مناقب ابن شهر اشوب ج١ ص ٧٩ .

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٨١ .

الوصول الى تحقيق اهدافها وتركيز مفاهيمها وافكارها في اذهان الدعاة الاسلاميين لتكون منهم اللبنات الاولى لبناء الصرح الاسلامي الشامخ فى جو يسوده الهدوء وتحفه الطمأنينة اتسمت اساليبها بطابعين :

الاول : الطابع السري : ونعني به عدم اظهار افراد الدعوة وهم قلة والتكتم عليهم ليكونوا في مأمن من اعدائهم ، اوعدم تحديهم بشكل سافر للأوضاع السائدة والاعراف الفاسدة .

الثاني : الطابع العلني : ونعني به اظهـار مفاهيم الدعوة وابرازهـا ونشرها بين الناس لتأخـذ طريقها الى عقولهم وافكارهم .

وللتدليل على هذا نفصل الكلام فنقول :

اما الطابع السري :

فان نظرة واحدة الى تاريخ الدعوة الاسلامية في بدايتها تغنينا عن تجشم الادلة على اثبات هـذا الطابع . واليك بعض ما ذكره المؤرخون حول ذلك :

١ـ ابن الاثير في الكامل : «ثم ان الله تعالى امر النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين ان يصدع بما يؤمر وكان قبل ذلك من السنين الثلاث مستتراً بدعوته

لايظهرها الا لمن يثق به فكان اصحابه اذا ارادوا الصلاة ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا » (١)

٢ـ ابن هشام فى سيرته : « فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يذكر ما انعم الله عليه وعلى العباد سراً الى من يطمئن اليه من اهله . » (٢)

٣ـ المجلسي في بحاره : « قال ابو جعفر (ع) : ما اجاب رسول الله صلى الله عليه وآله احد قبل علي بن ابي طالب وخديجة صلوات الله عليهما ، ولقد مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ثلاث سنين مختفياً خائفاً يترقب ويخاف قومه والناس » (٣)

٤ـ ابن شهر اشوب في مناقبه : « عن ابى عبد الله (ع) قال : اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة مستخفياً خائفاً خمسة سنين ليس يظهر وعلي معه وخديجة ثم امره الله ان

---

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير جـ٢ ص٢٧ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ١ ص١٦٢ .

(٣) البحار جـ١٨ ص١٨٨ الطبعه الحديثة

يصدع بما يؤمر فظهر واظهر امره . » (١)

٥ـ الحلبي في سيرته : « نعيم بن عبد الله النحام بالحاء المهملة قيل له ذلك لانه صلى الله عليه (وآله) وسلم قال فيه : لقد سمعت نحمته في الجنة اي صوته وحسه . كان يخفي اسلامه خوفاً من قومه . » (٢)

٦ ـ الحلبي فى سيرته ايضاً : « وفى كلام ابن الاثير مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً فى دار الارقم ومن معه من المسلمين الى ان كملوا اربعين . » (٣)

٧ـ احمد زيني دحلان فى سيرته : « مرّ صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال عمار بن ياسر اين تريد ياصهيب ؟ قال : اريد ان ادخل على محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه . قال عمار : وانا اريد ذلك . فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما

(١) مناقب جـ١ ص ١٧٣ ونقله المجلسي في البحار جـ ١٨ ص ٢٠٥ الطبعة حديثة .

(٢) السيرة الحلبية جـ١ ص ٣٦٦ .

(٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٧٢ .

بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما حتى امسيا ثم خرجا مستخفين . » (١)

٨ - احمد زيني دحلان في سيرته ايضاً : « قال ابن اسحاق : كان صلى الله عليه وسلم يدعو الناس خفية بعد نزول يا ايها المدثر ثلاث سنوات فكان من اسلم اذا اراد الصلاة اي صلاة الركعتين بالغداة وبالعشي يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين . » (٢)

٩ - الفضل بن الحسن الطبرسي في كتابه اعلام الورى : « لما رجع رسول الله من الطايف واشرف على مكة وهو معتمر كره ان يدخل مكة وليس له فيها مجير فنظر الى رجل من قريش قد كان اسلم سراً فقال له أئت الاخنس ابن شريف فقل له ان محمدا يسألك ان تجيره حتى يطوف ويسعى فانه معتمر . . . » (٣)

---

(١) هامش السيرة الحلبية ص ١٩٠ جـ ١ .

(٢) هامش السيرة الحلبية جـ١ ص ١٩٢ .

(٣) اعلام الورى ص ٣٦ ، البحار جـ١٩ ص٧ الطبعة الحديثة

١٠ـ الحلبي في سيرته : « وقيل كان بلال مولداً من مولدى مكة وكان لعبد الله بن جدعان ، وكان من جملة مائة مملوك مولدة له ، فلما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، أمر بهم فاخرجوا من مكة اي خوف اسلامهم فاخرجوا الا بلالاً فأنه كان يرعى غنمه فاسلم وكتم اسلامه » (١)

١١ـ لما اسلم ابو ذر الغفاري قال له الرسول صلى الله وآله وسلم : « يا اباذر اكتم هذا الامر ، وارجع الى بلدك فاذا بلغت ظهورنا فأقبل . » (٢)

١٢ـ ابن كثير في تفسيره : « عن عبد الله بن مسعود ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فخرج هو واصحابه . » (٣)

١٣ـ السيد هاشم البحراني في تفسير البرهان : « عن عبد الله بن علي الحلبي قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة بعدما

---

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص ٣٣٤ .

(٢) التربية الاسلامية السنة الخامسة العدد الثامن ص ٤٧٥

(٣) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٥٥٩

جاه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشر سنة مستخفياً منها ثلاث سنين خائفاً لا يظهر حتى امر الله عز وجل ان يصدع بما امر فاظهر حينئذ الدعوة . » (١)

١٤ـ الشبلنجي فى نور الابصار : « وصار يدعو الناس الى الله تعالى خفية لعدم الامر بالاظهار وكان من اسلم اذا اراد الصلاة ذهب الى بعض الشعاب ليستخفي بصلاته من المشركين . » (٢)

١٥ ـ اليعقوبي فى تاريخه : « واقام رسول الله بمكة ثلاث سنين يكتم امره وهو يدعو الى توحيد الله عز وجل وعبادته والاقرار بنبوته . » (٣)

١٦ـ محمد الحسين المظفر فى كتابه الامام الصادق (ع) « فقد اخفى النبي (ص) بدء الدعوة امره حتى دعى بني هاشم وامره الله سبحانه ان يصدع بامره وتكتم المسلمون فى اسلامهم

---

(١) تفسير البرهان م ٢ ص ٣٥٥ ، البحار جـ ١٨ ص ١٧٧

(٢) نور الابصار ص ١١

(٣) تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص ١٩

قبل ظهوره وانتشاره (١)

١٧ـ الفخر الرازي في تفسيره « وما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً حتى نزلت هذه الآية ﴿ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ﴾ اي لا تبالي بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة » (٢)

ولا غرابة باتصاف الدعوة الاسلامية بالطابع السري هذا لاجل المحافظة على حياة الدعاة المسلمين ليتمكنوا من نشر الدعوة الاسلامية ويكثر عدد المسلمين ويقوى عودهم على تحمل اعباء الجهاد والوقوف امام قوى الكفر المتعددة ، فان النبي صلى الله عليه وآله قال :

« استعينوا على اموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار » (٣)

ولقد اكتتم صلى الله عليه وآله في كثير من اعماله التي نذكر منها ما يلي :

---

(١) الامام الصادق جـ١ ص ٩١

(٢) تفسير الرازي جـ١٩ ص٢١٥

(٣) مروج الذهب المسعودي جـ٢ ص ٣٠٣

١ - كتمان بيعة العقبة الاولى : فانها قد تمت سراً وبتكتم عن المشركين « فكانت بيعة العقبة الاولى بمنى فبايعه خمسة نفر من الخزرج وواحد من الاوس في خيفة من قومهم بيعة النساء . »(١)

وذلك قبل ان تفترض الحرب ان لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا اولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين ايديهم وارجلهم ولا يعصوه في معروف .

٢- كتمان بيعة العقبة الثانية . وقد تمت سراً ايضاً بين النبي صلى الله عليه وآله وثلاثة وسبعين رجلا وأمرأتين ممن اسلم من اهل المدينة كانوا قد قدموا مكة للحج فاجتمع بهم النبي صلى الله عليه وآله وقال لهم : « تمنعون لي جانبي حتى اتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم على الله الجنة قالوا : نعم يارسول الله فخذ لنفسك وربك ما شئت فقال : موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق . » (٢)

قال كعب « فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي

---

(١) مناقب ابن شهرا شوب جـ١ ص ١٧٤

(٢) اعلام الورى ص ٣٩

واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر . سيد من ساداتنا ، وشريف من اشرافنا ، اخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا ، من قومنا من المشركين امرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا ، وشريف من اشرافنا ، وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه الى الاسلام واخبرناه بميعاد رسول الله صلى عليه وسلم ايانا العقبة ، فاسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً . » (١)

« فقال لهم رسول الله في اليوم الثاني من ايام التشريق فاحضروا دار عبد المطلب على العقبة ولا تنبهوا نائماً وليتسلل واحد فواحد وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطلب وحمزة وعلي والعباس معه » (٢)

قال كعب : « فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا في

---

(١) التربية الاسلامية السنة السابعة العدد السادس ص٣٥٢

(٢) اعلام الورى ص٣٩

الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا . نسيبة بنت كعب ام عمارة . احدى نساء بني مازن بن النجار ، واسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي احدى نساء بني سلمة وهي ام منيــع . فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس ابن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ، الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلس كان اول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يامعشر الخزرج (يعني الأوس والخزرج) ان محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه . فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وانه قد ابى الا الانحياز اليكم ، واللحوق بكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فانتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده . فقلنا له : قد سمعنا ماقلت فتكلم يارسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما احببت . فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ، ثم قال : ابايعكم عــلى ان تمنعوني مما

تمنعون منه نساءكم وابناءكم . فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق نبياً ، لنمنعنك مما نمنع منه إزرنا فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله ابناء الحروب واهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر . فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم - ابو الهيثم بن التيهان فقال : يارسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا وأنا قاطعوها ، يعني اليهود فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله . ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم . انا منكم وانتم مني ، احارب من حاربتم ، واسالم من سالمتم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا الي منكم اثني عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم . فاخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . » (١)

« وقال صلى الله عليه وسلم لاولئك النقباء : انتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومي . » (٢) يعني المسلمين ، قالوا : نعم فبايعوه .

(١) التربية الاسلامية السابعة العدد السادس ص٣٥٣

(٢) السيرة الحلبية جـ٢ ص١٨

« واستمع احد المشركين - وهو يتجول صدفة بين مضارب الخيام ومنازل الحجيج - مادار في هذا الاجتماع فصرخ ينذر اهل مكة : ان محمداً والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم ،

ولم يكترث المبايعون بانكشاف امرهم بل ارادوا مهاجمة قريش باسيافهم ولكن الرسول امرهم بالعودة الى رحالهم . . اذ لم يأذن الله لهم بالقتال بعد . » (١)

وفى الصباح « وعند فشو الخبر جاء اجلتهم واشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا : يامعشر الأوس والخزرج . . بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين اظهرنا وتبايعوه على حربنا ، والله مامن حي - من العرب - ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم : فصار مشركوا الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شيء وما علمناه - وصدقوا لانهم لم يعلموه كما علم مما تقدم . . ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقاً فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر ابن عمر فاما سعد فامسك وعذب في الله واما المنذر فافلت ثم

---

(١) الرسول القائد ص٣٩

انقذ الله سعداً من ايدي المشركين . » (١)

٣ ـ كتمان الهجرة : فقد كانت سراً ايضاً كما ذكرها المؤرخون سواء في ذلك الهجرة الى الحبشة اوالى المدينة .

اما الهجرة الى الحبشة فقد ذكر المجلسي فقال : « إئتمرت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فونبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه ابي طالب فلما رأى رسول الله ما باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة . . الى ان قال . . فخرج اليها سراً احـــد عشر رجلا واربع نسوة » . . الخ . . (٢)

كما ذكر ايضاً : « انه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله بالنبوة لم ينكر عليه قريش فلما سب آلهتهم انكروا وبالغوا فى اذى المسلمين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج الى الحبشة فخرج قوم وستر الباقون اسلامهم

---

(١) السيرة الحلبية جـ٢ ص٢٠

(٢) البحار جـ ١٨ ص٤١١ ، ص٤١٢ الطبعة الحديثة

فخرج في الهجرة الاولى احد عشر رجلا واربع نسوة متسللين سراً » (١)

وكذلك كانت الهجرة الى المدينة سراً فقد ذكر الطبرسي (وكان كل من دخل الاسلام من قريش ضربه قومه وعذبوه فكان رسول الله يامره بالخروج الى المدينة وكانوا يتسللون (٢) رجل فرجل فيصيرون الى المدينة . » (٣)

كما انه صلى الله عليه وآله خرج من مكة ليلة الهجرة سراً وبتكتم ولم يعلم به احد منهم وانام علياً عليه السلام مكانه ليوهم قريشاً بانه رسول الله حتى تفوت عليهم فرصة اللحاق به . واختفاؤه في غار ثور أمر في غاية السرية والتكتم . ففي البحار « دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن ابي طالب لوقته فقال له : يا علي ان الروح هبط علي بهذه الآية (٤) آنفاً يخبرني ان قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي وانه اوحى الي عن ربي عز وجل ان اهجر دار قومي

(١) البحار جـ ١٨ ص٤٢٢ الطبعة الحديثة

(٢) انسل وتسلل خرج فى استخفاء (من الاصل)

(٣) اعلام الورى ص٣٩

(٤) واذا يمكر بك الذين كفروا . . الخ .

وان انطلق الى غار ثور تحت ليلتي وانه أمرني ان آمرك بالمبيت على ضجاعي او قال مضجعي لتخفي بمبيتك عليه اثري فما انت قائل وصانع ؟ فقال علي عليه السلام : او تسلمن بمبيتي هناك يا نبي الله ؟ قال نعم . قال له : امض فداك سمعي وبصري . » (١) « ولبث رسول الله صلى الله عليه وآله بمكانه مع علي عليه السلام يوصيه ويأمره بالصبر حتى صلى العشائين ثم خرج صلى الله عليه وآله في فحمة العشاء والرصد من قريش قد اطافوا بداره ينتظرون ان ينتصف الليل وتنام الاعين فخرج وهو يقرأ هذه الآية « وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لايبصرون » وكان بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم فما شعر القوم به حتى تجاوزهم ومضى حتى اتى الى هند وابي بكر فنهضا معه حتى وصلوا الى الغار ثم رجع هند الى مكة بما امره به رسول الله صلى الله عليه وآله ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وابو بكر الى الغار فلما خلق الليل وانقطع الاثر اقبل القوم على علي عليه السلام يقذفونه بالحجارة فلا يشكون انه رسول الله صلى الله عليه وآله حتى

(١) البحار جـ ١٩ ص ٦٠ الطبعة الحديثة

اذا برق الفجر واشفقوا ان يفضحهم الصباح هجموا على علي عليه السلام وكانت دور مكة يومئذ سوائب لا ابواب لها . . . الخ . . » (١)

٤ ـ كتمان فتح مكة : فان النبي صلى الله عليه وآله عزم على كتمان امره حتى يتم له فتحها دون اراقة الدماء . وان ارسال حاطب بن ابي بلتعة (احد المسلمين المهاجرين ومن اهل بدر) كتابا الى اهل مكة يعلمهم الخبر ونزول جبرئيل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وآله يطلعه على الكتاب الذي كان حاطب قد ارسله مع جارية سوداء وارسال النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام والزبير بن العوام فى طلب الكتاب واخذهما الكتاب من الجارية ومعاتبة النبي صلى الله عليه وآله لحاطب على الذي حمله على كتابة ذلك الكتاب الى آخر القصة . . كل ذلك لدليل على شدة تحفظ النبي صلى الله عليه وآله فى كتمانه لامره . وحرصه الشديد على الا ينكشف سره وفعلا بقيت نواياه(ص)سرآ مكتوما حتى انجز ماراد من مباغتة مكة بالفتح .

---

(١) البحار جـ ١٩ ص٦١ الطبعة الحديثة

وبالاضافة الى كل ماتقدم من اتباع الاسلوب السري في الدعوة الاسلامية ، فقد ورد عن الائمة الاطهار عليهم السلام في باب كتمان الحديث واذاعته الشيء الكثير :

كتمان الحديث واذاعته :

١ ـ عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : « ان امرنا صعب مستصعب لايحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للايمان » (١)

٢ ـ وفى حديث طويل عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : « ايسركم ان هذا الامر كان قالوا : بلى والله وددنا ان قد رأيناه قال : حتى تجتنبوا الا حبة من الاهلين والاولاد ، وتلبسوا السلاح ، وتركبوا الخيل ، ويغار على الحصون قالوا : نعم ، قال : قد سألناكم ماهو أهون من هذا فلم تفعلوا ، امرناكم ان تكفوا وتكتموا حديثنا ، واخبرناكم انكم اذا فعلتم ذلك فقد رضينا فلم تفعلوا . » (٢)

٣ ـ وفى حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام قال :

---

(١) مختصر بصائر الدرجات ص ٩٩

(٢) نفس المصدر ص ١٠٠

ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (١) لذا قد فصلنا القول في معنى التكتم والتستر وانه يشمل اخفاء دخول الاشخاص الى الاسلام وهم قلة ليكونوا في منجى من عذاب واضطهاد الاعداء او اخفاء بعض المهام من الامور لظمان النجاح لها ولئلا يطلع الاعداء عليها فيحبطوها قبل الشروع بها ؛ وليس اخفاء المفاهيم والافكار الاسلامية فان طابعها علني ، وهذا يبدو واضحاً في ما ذكره اليعقوبي في تاريخه كما تقدم « واقام رسول الله بمكة ثلاث سنين يكتم امره وهو يدعوا الى توحيد الله عز وجل وعبادته والاقرار بنبوته » (٢) كما انه لما كثر عدد المسلمين واصبحوا بحيث لا يخشى من القضاء عليهم قضاءاً تاماً ، زال السبب الذي من اجله اخفوا اشخاصهم فاظهروا امرهم قال اليعقوبي في تاريخه : « واسلم يومئذ جعفر بن ابي طالب ، وعبيدة بن الحارث ، واسلم خلق عظيم وظهر امرهم وكثرت عدتهم » (٣)

---

(١) سورة البقرة آية (١٥٩)

(٢) جـ٢ ص١٩

(٣) جـ٢ ص٢٢

السرية واسلام ابي طالب (ع) : -

ومن اثر الطابع السري الذي اتصفت به الدعوة الاسلامية بقاء امر اسلام نصير النبي - والمحامي عنه والذاب دونه والمدافع عن دينه عمه « ابو طالب » ذلك الذي اسلم سراً مثار جدل وخلاف بين بعض المسلمين .

وما ذاك الا للاسلوب الذي اتصفت به الدعـــوة الاسلامية ولطابعها السري العام في بداية الاسلام ، وللمصلحة المترتبة على كتمانه لاسلامه وهي القيام بالدفاع عن النبي (ص) والمحامات عنه على اعتباره واحد من المشركين في نظرهم فلو ان ابا طالب اعلن اسلامه لما استطاع ان يذب عن رسول الله ولما هابه المشركون . والا فهل يشك في اسلام من .

يقول :

ولـقد علمت بان دين محمد

من خير اديان البرية دينا

ويقول :

الم تعلموا انا وجدنا محمـدا

نبيا كموسى خط في اول الكتب

« ليس لكم سر ، وليس لكم حديث الا وهو في يد عدوكم ، ان شيعة بني فلان (١) طلبوا امراً فكتموه حتى نالوه ، واما انتم فليس لكم سر . » (٢)

٤ - « عن عيسى بن ابي منصور قال : « سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : نفس المهموم لنا المغتم لظلمنا تسبيح ، وهمه لامرنا عبادة ، وكتمانه لسرنا جهاد في سبيل الله . » (٣)

٥ - قال ابو عبد الله عليه السلام : « امر الناس بخصلتين فضيعوهما فصاروا منهما على غير شيء الصبر والكتمان . » (٤)

كما قد ورد عنهم عليهم السلام في باب التقية الامر الكثير :

التقيـة :

١ - عن الامام الصادق عليه السلام قال : « من كان

---

(١) اي بنو العباس حيث ان دعوتهم كانت سرية

(٢) مختصر بصائر الدرجات ص١٠٢

(٣) صول الكافي باب الكتمان

(٤) المصدر السابق

يؤمن بالله اليــــوم الآخر فلا يتكلم في دولة الباطل الا بالتقية (١)

٢ - عن الامام الباقر عليـه السلام قال : « خلقت التقية ليحقن بها الدم فاذا بلغ الدم فلا تقية » (٢)

وقد اكثرت من الشواهد لاثبات الطابع السري للدعوة الاسلامية لان هناك من ينكر عليها طابعها هذا ويعزوه الى الاختلاق والافتراء ، واذا كان ماذكرته سابقاً وغيره من الكثير الذي لم اذكره اذا كان هذا كله مختلقاً فان ذلك يجعلنا ان لانسلم بشيء من التاريخ ابدا .

ولعل من ينكر الطابع السري للدعوة الاسلامية قد اختلط عليه الامر ولم يميز بين الحابل والنابل واشتبهت عليه الحال فلم يفرق بين الحق والباطل فظن - وان بعض الظن اثم - ان السرية تعني اخفاء حقائق الاسلام وسترها عن الناس وهذا ما لايجوز شرعاً ولا يسوغ لمسلم ان يفعله اختياراً لقوله تعالى : « ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد

---

(١) مشكاة الانوار للطبرسي ص٤١

(٢) المصدر السابق ص ٤٠

ويقول :

فامسى ابن عبـد الله فينا مصدقاً

على ساخط من قومنا غير معتب

ويقول :

الا ان احمـــد قد جاءهم

بحق ولم يأتهم بالكذب

ويقول :

الم تعلموا ان ابننا لا مكذب

علينا ولا يعبا بقول الا باطل

الى ان يقول :

فايده رب العبـــاد بنصره

واظهر دينا حقه غير باطل

الطابع العلني :

فان النبي صلى الله عليه وآله لم يستر ولم يكتم اهدافه وغاياته وافكاره ، وما يدعوا اليه مما يوحى اليه من ربه ولم يأمر بكتمها ولا باخفائها ، وانما كان يجاهر قومه بها ويدعوهم اليها ، ويصارحهم فيها ، وكذلك كان المسلمون الذين لم يظهروا للمشركين انهم اسلموا ، ودخلوا الاسلام ، ولكنهم

لم يحققوا حقائق الاسلام وتعاليمه .

ومن هنا كانت الدعوة الاسلاميه ، واضحة عند المشركين باهدافها وتعاليمها ومفاهيمها ، ولو لم تكن واضحة عندهم لما انطلقوا لمحاربتها والوقوف بوجهها وكيف يمكن للدعاة الى الاسلام التكتم بالافكار الاسلامية وقد انزلها الله تعالى ليبلغ بها الناس ، وهي التي يجب ان تدخل الى اذهانهم ليميزوا بينها وبين معتقداتهم السابقه ، وتخاطب بها البابهم وعقولهم ليؤمنوا بها عن علم ويذعنوا لها طائعين .

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله يتحرى إسماع المشركين القرآن وكذلك كان الدعاة معه . « ومما وقع لابن مسعود رضى الله تعالى عنه من الاذية ان اصحاب رسول الله عليه وسلم اجتمعوا يوماً فقال : والله ما سمعت قريش القرآن جهراً الا من رسول صلى الله عليه وسلم فمن منكم يسمعهم القرآن جهراً فقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : انا . فقالوا : نخشى عليك منهم ، وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال : دعوني فان الله سيمنعني منهم ، ثم انه قام عند المقام وقت الشمس ، وقريش في انديتهم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم - رافعاً صوته - الرحمن علـم القرآن

واستمر فيها فتأملته قريش وقالوا : فابال ابن ام عبد ؟ فقال بعضهم : يتلو بعض ما جاء به محمد ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءته حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى الى اصحابه وقد ادمت قريش وجهه فقال له اصحابه : هذا الذي خشينا عليك منه فقال : والله ما رأيت اعداء الله اهون علي مثل اليوم ولو شئتم لاتيتهم بمثلها غداً . قالوا : لا قد اسمعتهم ما يكرهون . » (١)

وقد ادرك المشركون ان النبي صلى الله عليه وآله والدعاة المسلمون معه يتقصدون اسماعهم القرآن لعله ينفذ الى البابهم ، فجعلوا يحولون دون ذلك بما يقومون به من مكاء وتصدية وقراءة الاشعار لئلا يدعوا احداً يسمع القرآن « ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية انه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا وقالوا : لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه . » (٢)

---

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص ٣٣٢

(٢) السيرة الحلبية جـ١ ص٣٣٢ وكذلك في المناقب ص٥٠ مع اختلاف في العبارة .

ويدلنا هذا الخبر على ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقرأ القرآن في محل عام وامام الملأ من قريش مع علمه انهم لا يحبون سماعه ويلغون فيه ولكنه مأمور بالتبليغ وبانزال المفاهيم الاسلامية الى المجتمع لتعمل عملها في تغيير الناس وقلب اساليب تفكيرهم والاخذ بايديهم الى التعاليم الالهية العادلة ، فلابد من القيام بهذه المهمة ولا يمكن اخفاؤها باي حال من الاحوال .

ماهي التضحيات ؟..

بما ان الدعوة الاسلامية هي حركة انقلابية جذرية في تاريخ البشرية تستهدف تغيير الواقع الفاسد وأزالة الاوضاع السيئة واقامة مجتمع العدل والاخوة . مجتمع الفضيلة والعزة ، المجتمع الاسلامي ، بما ان الدعوة كذلك ، كان لابد لها ان تعيش في بداية نشأتها مناقضة للتقاليد السائدة والعادات الموروثة ، وذلك لانها لم تأتي الا لتغيير ذلك المجتمع وقلبه .

وكان طبيعياً لهذا التناقض ان ينشأ صراع وتحدث خصومة بين قوتين :

قوة متحركة نامية مؤثرة بالاحداث ، تريد اقامة مجتمع على أسس اسلامية عادلة .

وقوة جامدة فوقمية مصلحية انتهازية تريد المحافظة على عادات جاهلية ظالمة .

ويشتد الصراع طورا ويضعف حيناً ، يشتد كلما احست القوة الجامدة بخطر القوة المتحركة ، وازدياد عدد افرادها واتساع نفوذها فتنكل بالدعاة الاسلاميين وتشردهم وتنفيهم وتقتلهم على الظنة والتهمة ، وتوجه كل تهمة اليهم لتشوه سمعتهم وتصرف الناس عنهم ، ويضعف الصراع كلما نظرت الى جبروتها وكبريائها وخيلائها من جهة ، وقلة افراد الدعوة وضعفهم وفقرهم من جهة أخرى ، ولهذا اتخذت الدعوة الاسلامية الطابع السري كما المحنا اليه في الجواب على السؤال السابق ، فعندما كان الطابع السري هو السائد فى الدعوة كان الصراع لا يذكر وهذه المدة التي ذكرها المؤرخون وحددها بعضهم بثلاث سنوات وحددها آخرون بأكثر من ذلك كانت لتهيئة الرصيد الكافي من الدعاة الاسلاميين واعداد العدة منهم للصمود في وجه القوة الجامدة يوم يكون الاعلان ، فيصعب على الاعداء القضاء على الدعاة وهم حملة الدعوة الاسلامية مهما نكلوا بهم وعذبوهم ، ومهما قتلوا منهم ليفتنوهم عن دينهم .

وهنا لابد من التضحيات والبذل في سبيل المحافظة على

الدعوة الاسلامية ومبادئها الحقة وازاحة العقبات التي تقف دون ايصالها الى الناس ،ولولا ذلك العطاء الضخم (من الدماء والارواح والاموال) الذي يزخر - ويفخر في الوقت نفسه - به تاريخ الدعوة الاسلامية لما انتصرت الدعوة ولما انتشر الاسلام شبراً واحداً .

هل من محيص عن التضحيات ؟

ان الدعوات التغييرية لا يمكنها ان تنتصر ، وان يكتب لها النجاح الا ان تقدم المزيد من التضحيات والعطاء تلو العطاء من الاموال والارواح ومن كل شيء . وتلك هي سنة الله التي لا تبديل لها ليميز الخبيث من الطيب ، والصادق من الكاذب قال تعالى :

« احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (١)

وقال تعالى : « لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا

---

(١) سورة العنكبوت آية ٢ ، ٣ .

اذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور . » (١)

« فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار . » (٢)

وقال تعالى

« ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » (٣)

وهذا ورقة بن نوفل حين بشر خديجة بنت خويلد بان محمداً هو نبي هذه الامة .

فقال لها : أنه سيؤذى ويكذب وقد لقي النبي صلى الله عليه وآله .

فقال له : يابن اخي اثبت على ما انت عليه فو الله الذي

---

(١) سورة آل عمران آية (١٨٦) .

(٢) سورة آل عمران آية (١٩٥) .

(٣) سورة البقرة آية (٢١٤) .

نفس ورقة بيده انك لنبي هذه الامة ولتؤذين وتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولئن ادركت يومك لأنصرن الله نصراً يعلمه (١).

وعلى هذا يمكننا ان نعتبر التضحيات ونكران الذات والبذل المستمر في سبيل الله وعدم انتظار الجزاء الا منه من مميزات الدعوة الاسلامية وانه من غير الممكن الحصول على رضوان الله تعالى ونيل ثوابه الا بالاتصاف بهذه الصفات العالية . فلا محيص ولا مناص من تحمل الاذى والظلم والتشريد والنفي والتهم الكاذبة والاضطهاد والتعذيب والقتل ونهب الاموال وهدر الكرامات وانتهاك الحرمات لمن يدعو الى الله ويسعى لنصرة دينه وتطبيق شريعته لا لشيء سوى انه يؤمن بالله وبرسوله واليوم الآخر قال تعالى :

« وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد . » (٢)

وقال تعالى :

« الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » (٣) .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ٧٣ .

(٢) سورة البروج آية (٨) .

(٣) سورة الحج آية (٤٠)

عن ابي عبد الله خباب بن الارت رضي الله عنه قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وفي خبر « اتينا رسول الله وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلنا : الا تستنصر لنا ؟ الا تدعو الله لنا ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : ان كان من كان قبلكم ليمشط احدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم او عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله عز وجل والذئب على غنمه »(١)

وفي البخاري زاد « ولكنكم قوم تستعجلون ».

في هذا الحديث تعاليم لمن يريد السير على هدى الرسول صلى الله عليه وآله :

١ ـ ان الدعاء وحده لا يوجب النصر ، ولو كان

(١) اعلام الورى ص ٣١ ورواه البخاري في صحيحه والحلبي في سيرته

الدعاء وحده يغني عن العمل لجلس النبي صلى الله عليه وآله ولامر اصحابه بالجلوس والاكتفاء بالدعاء على الاعداء ليهلكهم دون ان يتحمل هو واصحابه منهم الشيء الكثير من الأذى والاضطهاد ، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله الذي بعث رحمة للعالمين ، عندما سأله ذلك الداعية المضطهد ان يدعو الله له ولمن معه بالنصر يقعد بعد ان كان متوسداً ، وهو محمر وجهه من أثر الغضب الذي لحقه من هذا الطلب ليقول له : « ان كان من كان قبلكم ليمشط .. » ليعلمه ان ليس هذا موطن الدعاء وانما هذا موطن الابتلاء والصبر على تحمل الشدائد كما تحملها من كان قبلكم .

٢ ـ الامل بالمستقبل والامل بالنصر فانه صلى الله عليه وآله في احرج الظروف وأشد ساعات الارهاب كان ينبعث من نفسه العظيمة الامل القريب والقريب جداً مؤكداً ذلك بقوله صلى الله عليه وآله : « وليتمن هذا الامر » . وهذا لم يكن تمنياً على الله ، وانما كان عن ثقة واطمئنان بان النصر والظفر للعاملين وليس للخاملين وعن ثقة واطمئنان بوعد الله تعالى الذي يقول : « كتب

الله لأغلبن انا ورسلي ...» (١) .

٣ - الثبات على المبدأ والاصرار على الاستقامة عليه مهما بلغت قوة الاعداء، ومهما اوغلوا في تعذيب الدعاة الى الله او وضعوا العراقيل والعقبات امامهم وقد اشار صلى الله عليه وآله الى ذلك بقوله : « مايصرفه ذلك عن دينه .. »

٤ - ان تحمل الاذى والاضطهاد في سبيل الله وسبيل الدعوة اليه امر لامفر منه ولا يمكن ان تنتشر عقيدة او ينتصر مبدأ دون ملاقات الشدائد اذ ان ذلك من سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا : « ليهلك من هلك عن بينه ويحى من حي عن بينة » ، ان اصحاب الرسالات والدعاة اليها لابد لهم من العمل الجاد والنشاط المتواصل لتحقيق اهدافهم ولن تقف بوجههم العقبات ولو فصل مابين لحمهم وعصبهم وعظامهم ولو فرق مابين رؤوسهم واجسادهم ولو نشرت رؤوسهم بالمناشير .

٥ - الصبر والاناة وعدم الاستعجال فان من صبر ظفر والاستعجال يربك العمل وربما يؤخر النصر وما فائدة الاستعجال

---

(١) سورة المجادلة آية (٢١)

والامور مرهونة باوقاتها انما يستعجل اصحاب المبادىء الارضية ، لان مبادئهم تشدهم الى الارض فقط ، فهم لا ينتظرون جزاء على ما يقومون به من اعمال في سبيل مبادئهم الوضعية ، في غير هذه الحياة الدنيا ، بما يمنون به انفسهم ويواعدون به شهواتهم من كراسي الحكم وملحقاتها ، لذا نراهم يستعجلون في اعمالهم ويسلكون اخس السبل وفق القاعدة المعروفة لديهم (الغاية تبرر الوسيلة) من اجل الوصول الى الحكم ، وقد تصل بهم الحال ان يجعلوا مبادئهم التي كافحوا زمناً من اجلها ضحية في سبيل شهواتهم فينحرفوا بذلك حتى عن مبادئهم .

اما الدعاة المسلمون ، فان مبادئهم تجعلهم ابعد نظرا واوسع افقاً من هذه الارض التي يسكنون عليها ، وان جميع مايحصلون عليه من الاذى في سبيل اهدافهم ، انما ينتظرون جزاءهم من الله تعالى سواء كان ذلك في الحياة الدنيا والآخرة معاً ، ام في الحياة الاخرى فقط .

قال تعالى :

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم

يقوم الاشهاد » (١)

« فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » (٢)

لذا نراهم لايستعجلون . ويسلكون اشرف السبل لاشرف الغايات وان الغاية عندهم لا تبرر الوسيلة بل عندهم قاعدة « لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

ولكن ليس معنى هذا انهم يجلسون ويتواكلون ، بل يعملون مستمرين دون ان يصيبهم ملل . او يعتريهم كلل ، لتحقيق اهـدافهم ونيل رضوان الله تعالى ، فان توصلوا الى الحكم بطرقه المشروعة فى نظر الاسلام دون تكالب عليه ، فهو عنـدهم وسيلة لاغاية . وسيلة لتطبيق شريعة الله ، والحكم بما انزل الله بين عباده .

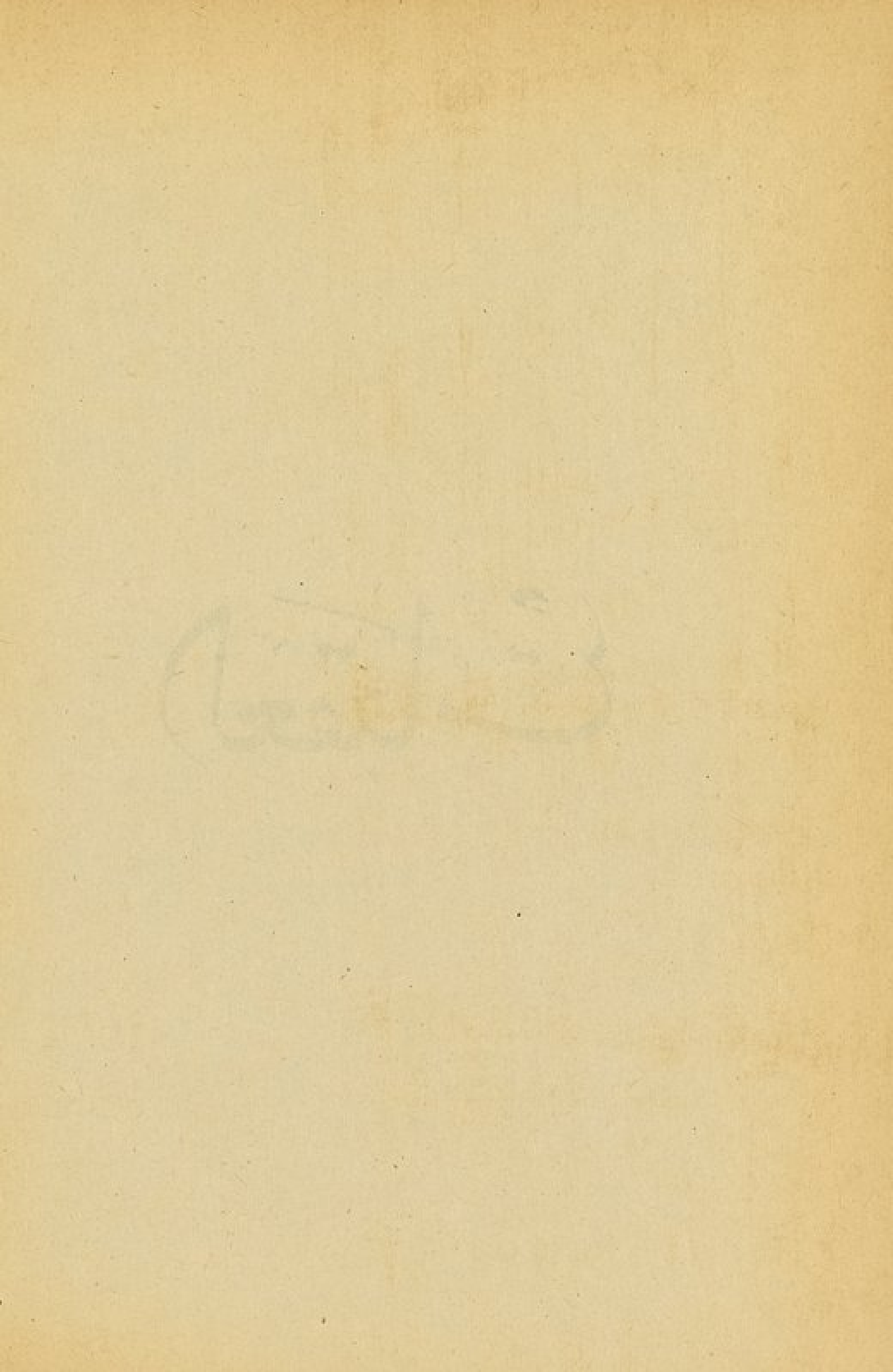
وان فاتهم ذلك . . واصلوا عملهم من اجل نشر حقائق الاسلام د ن ان ينحرفوا عن طريقها قيد انملة ودون ان يستعجلوا .

---

(١) سورة غافر آية (٥١)

(٢) سورة آل عمران آية (١٤٧)


العقبات



ماهي العقبات ؟..

اخذت الدعوة الاسلامية تواصل مسيرتها فى ليل قد عسعس بظلام الجاهلية وتشق طريقها فى ذلك الخضم المتلاطم من امواج الشرك والعبودية والوثنية ، والمفاسد الخلقية والمساوىء الاجتماعية .. لايثنيها عن عزمها الظلام ولم يحرفها عن سيرها ذلك الخضم ، لتنير البشرية بصبح قد تنفس بظهور الدعوة الاسلامية - فلما رأى المصلحيون · سيرها المتزن وخطواتها الحكيمة فى معالجة المشاكل الاجتماعية ، واصلاح الاوضاع الفاسدة ، جن جنونهم وهاجت بهم حميتهم الجاهلية ، وتنادوا فيما بينهم : « ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد . ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق . ءانزل الذكر عليه من بيننا » (١)

« ماهـذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد

---

(١) سورة ص آية (٧ ، ٨ ، ٩)

آباؤكم » (١)

واستمدوا للمحافظة على مصالحهم ، وحشدوا كل امكانياتهم ، وطاقاتهم ، وزرعوا الاشواك ، ووضعوا العقبات ، والعراقيل فى سبيل القضاء على الدعوة والدعاة ، وايقافهم عند حدهم ، او الحد من نشاطهم ويمكننا ان نستفيد من القرآن الكريم بان جميع ما تعرض له الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله والذين آمنوا معه ، من انواع المقاومة والاضطهاد ، كان قد تعرض له الرسل الكرام عليهم السلام :

« ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك » » (٢)

وقد ازداد الاذى الذي تعرض له الرسول صلى الله عليه وآله على الاذى الذي تعرض له الانبياء (ع) من قبله لقوله صلى الله عليه وآله :

« ما اوذي نبي مثل ما او ذيت »

واليك بعض مالاقاه الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمون الدعاة من الصعاب والعنت والعقبات ، لتكون عبرة لمن يدعو

---

(١) سورة سبأ آية (٤٣)

(٢) سورة فصلت آية ٤٣

الى الاسلام ولا يضجر من تحمل المشقات والاضطهاد فى سبيل دعوته وليكن فيما يلاقيه - في احرج الظروف . واشد الازمات - وهو في طريقه الى الله تعالى - من محن ومصائب متأسيا بالداعية الاسلامى الاول صلى الله عليه وآله : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » (١)

١ـ بث الاشاعات ضد الدعوة :

قاموا ببث الاشاعات الكاذبة والاباطيل لتشويه حقيقة الدعوة الاسلامية ووصفها بالافك المفترى تارة . وبالسحر المبين اخرى وباساطير الاولين مرة ، وباضغاث احلام اخرى . . وهكذا . .

قال تعالى : « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون . فقد جاؤا ظلماً وزورا . وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة واصيلا » (٢)

« وقالوا : ما هذا الا افك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين » (٣)

---

(١) سورة الاحزاب آية (٢١)

(٢) سورة الفرقان آية (٤ ، ٥ ، ٦) (٣) سورة سبأ آية (٤٣)

« بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون » (١)

« وكان النبي صلى الله عليه وآله يقرأ القرآن . فقال ابو سفيان والوليد وعتبة وشيبة للنضر بن الحرث : ما يقول محمد ؟ فقال : اساطير الاولين ، مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية . فنزل : فمنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة الآية . . » (٢)

وقال ابن عباس : « قالت قريش : ان القرآن ليس من عند الله ، وانما يعلمه بلعام وكان قيناً بمكة رومياً نصرانياً ، وقال الضحاك : ارادوا به سلمان وقال مجاهد : عبد النبي الحضرمي ، يقال له يعيش . فنزل : ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر . الآية وقوله : وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه محمد واختلقه من تلقاء نفسه واعانه عليه قوم آخرون يعنون عداساً مولى خويطب ، ويساراً غلام العلاء ابن الحضرمي ، وجبرا مولى عامر ، وكانوا اهل الكتاب ،

(١) سورة الانبياء آية (٥)

(٢) المناقب لابن شهر اشوب ج ١ ص٤٨

فكذبهم الله تعالى ، فقال : فقد جاؤا ظلماً وزورا . . .

الايات . . . » (١)

وروى السدي : « انه قيل للوليد بن المغيرة : ما هذا الذي يقرأ محمد ؟ سحر ام كهانة ام خطب ؟ ؟ ؟ فاستظهرهم وقال للنبي عليه السلام : اقرأ علي فقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم .

فقال تدعو الى رجل باليمامة يسمى الرحمن ؟ قال : لا ولكني ادعو الى الله وهو الرحمن الرحيم . ثم افتتح (حم) السجدة فلما بلغ : فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، اقشعر جلده وقامت كل شعرة عليه وحلفه ان يكف ثم مضى الى داره ، فقيل له صبا الى دين محمد ! ! فقال لا ولكني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود ! ! قال : قولوا هو سحر فانه آخذ بقلوب الناس ! ! فنزل : ذرني ومن خلقت وحيدا الى قوله تسعة عشر . » (٢)

وكان النضر بن الحارث ممن يؤذي رسول الله صلى الله

---

(١) المناقب لابن شهر اشوب جـ١ ص٤٩

(٢) مناقب ابن شهر اشوب جـ١ ص٥٢ ، ٥٣ ،

عليه آله وينصب له العداوة « وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها احاديث ملوك الفرس ، واحاديث رستم واسبنديار . فكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فدعا فيه الى الله تعالى وتلا فيه القرآن ، وحذر فيه قريشاً ما اصاب قبلهم من الامم الخالية من نقمة الله ، خلفه في مجلسه اذا قام ثم قال : انا والله يا معشر قريش احسن حديثاً منه فهلم الي فانا احدثكم احسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم السنديد واسبنديار . ثم يقول : بماذا محمد احسن حديثاً مني ؟ ماحديثه الا اساطير الاولين اكتتبها ! ! .

فأنزل الله فيه :

« ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم . »

وأنزل الله تعالى فيه :

« وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفوراً رحيما »

ونزل فيه : « اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين » (١)

هذه النغمة التي رددها اولئك الجاهليون ، ووصفوا بها الدعوة الاسلامية بالاساطير والأفك والسحر ...

هذه النغمة يرددها اليوم جاهليو القرن العشرين من حملة المبادىء الوضعية ، لينتزعوا عن الاسلام صفة الوحي والرسالة الالهية ، ويعطوه الصفة الارضية ليجعلوه في مصاف الانظمة الوضعية الهزيلة ، ثم بما انه قديم ، وان الانظمة التي يدعون اليها حديثة فاذن يجب نبذ الاسلام وتركه والاخذ بالنظم الحديثة طالما هما نابعان من الارض ، وان الحديث يمتاز عن القديم بحداثته وجدته . تماما كأولئك الجاهليين في عصر النبوة حينما وصفوه بأساطير الاولين . فكلا الطرفين جاهليون ولكن الفارق الوحيد بينهم هو الزمن فجاهلية هؤلاء لبست ثياب القرن العشرين وهي ثياب براقة

٢ ـ اشاعة التهم ضد الدعاة الاسلاميين

ووصفهم بما ليس فيهم لابعاد الناس عنهم : فقد ركزت قريش

---

(١) التربية الاسلامية السنة الخامسة العدد الثامن ص٤٦٦

اهتمامها باتهام النبي صلى الله عليه وآله بعدة اتهامات واستهدفته بالذات فوصفته باوصاف تشمئز لها النفوس وتبتعد عنها الأذواق مع علمها بأنه ابرأ الناس من هذه الاشاعات كلها ولكنها كمحاولة - ولو يائسة - لعلها تصل الى مرادها من التأثير على سير الدعوة الاسلامية وتعطيل نموها ولو الى حين وذلك بنبز قائدها . فوصفته بأنه شاعر فلم تفلح ، ووصمته بأنه كذاب فلم تربح ، ونعتته بأنه كاهن فلم تنجح . . وهكذا حتى استقر رأيها على نبزه بالجنون تارة وبالسحر تارة اخرى ، وهي التي كانت تدعوه الصادق ، والامين ولكن ما عدا مما بدى حتى انقلبت القاب المدح والثناء الى القاب الذم والانتقاص انه العمل الذي قام به صلى الله عليه وآله وانها الدعوة الاسلامية التي تعرضت لهدم كياناتهم فلا يهمه في سبيل ذلك ان يسميه الجاهليون منهم ساحراً او مجنوناً . . .

وقد لعبت هذه الاتهامات دوراً مهماً في ابعاد الناس عن الداعية الاسلامي وعن الدعوة الاسلامية . ولكنها باءت بالفشل وعادت وهي باصحابها احرى وبمروجيها اولى .

قال تعالى :

« وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون : هذا ساحر كذاب . » (١)

« وقالوا : يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون . » (٢)

« ويقولون : أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . » (٣)

« فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . » (٤)

« وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . » (٥)

قال ابن عباس « ان الوليد بن المغيرة أتى قريشاً فقال : ان الناس يجتمعون غدا بالموسم وقد فشا امر هذا الرجل في الناس ، وهم يسألونكم عنه فما تقولون ؟ ! !

فقال ابو جهل : اقول انه مجنون ! ! !

(١) سورة ص آية (٥)

(٢) سورة الحجر آية (٦)

(٣) سورة الصافات آية (٣٦)

(٤) سورة الطور آية (٢٩) ، (٣٠)

(٥) سورة الحاقة آية (٤١) ، (٤٢)

وقال ابو لهب : اقول انه شاعر ! !

وقال عقبة بن ابي معيط : اقول انه كاهن ! !

فقال الوليد : بل اقول انه ساحر ! ! يفرق الرجل وأخيه وأبيه .

فأنزل الله تعالى :

« ن والقلم وما يسطرون الآية ... الخ .. » (١)

وكان النبي صلى الله عليه وآله ، في كل موسم يدور على قبائل العرب فيقول لهم : « تمنعون لي جانبي حتى اتلو عليكم كتاب ربي وثوابكم على الله الجنة ؟ وابو لهب في اثره يقول : انه ابن اخي وهو كذاب ساحر ، فاصابهم الجهد . » (٢)

وذكر المؤرخون انه لما قدمت قبيلة بكر بن وائل مكة للحج اتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم : كيف العدد فيكم ؟ قالوا : كثير مثل الثرى .

قال : فكيف المنعة ؟ قالوا : منعة ، جاورنا فارس فنحن لا نمنع منهم ولا نجير عليهم .

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب ج ١ ص ٤٨

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥

قال : فتجعلون لله عليكم ان هو ابقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا ابناءهم ان تسبحوا لله ثلاثا وثلاثين وتحمدونه ثلاثا وثلاثين وتكبرونه ثـــلاثا وثلاثين قالوا : من انت ؟

قال : انا رسول الله . ثم مر بهم ابو لهب .

فقالوا : هل تعرف هذا الرجل ؟

قال : نعم . فاخبروه بما دعاهم اليـــه وانه زعم انه رسول الله .

فقال لهم : لا ترفعوا بقوله رأساً فانه مجنون يهذي من أم رأسه .

فقالوا : لقد رأينا ذلك حيث ذكر من امر فارس ماذكر وقد دعاهم الله سبحانه الى التفكير فيما يقولون ، والانصاف من انفسهم فيما يفترون

فقال تعالى :

« قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد . » (١)

---

(١) سورة النور آية (٤٦)

وقال سبحانه : « اولم يتفروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين . » (١)

وقد سرت هـذه النغمة الجاهلية فنرى كل انسان مسلم متمسك بالاسلام ومتأدب بآدابه ومتحلي باخلاقه ينبز ـ من قبل اللامبالين والمتحللين والمستهترين ـ بالجنون او الهستريا حتى قال الامام امير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين : « ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقـد خالطهم امر عظيم » (٢)

وقال الشاعر :

يقال مرضى وما بالقوم من مرض

ام خولطوا خبلا حاشاهم الخبل

٣ـ المجادلة الكلاميه لتفنيد افكار الدعوة الاسلاميه

أنى للافكار البالية ، والعقائد المتهرئة ان تثبت امام الافكار الاسلامية النيرة وعقائده القويمة .

---

(١) سورة الاعراف آية (١٨٤)

(٢) نهج البلاغة ـ محمد عبده جـ٢ ص ١٨٧

اننا نجد كثيرا من ذوي العقائد الزائفة ، لايقبلون النقاش حول عقائدهم ، ولا يرضون بالمجادلة عليها لانهم يعلمون ان ذلك يكشف زيف ما يعتقدون به ، وبطلان مايؤمنون به ، حتى ان قسماً منهم يعتبر المجادلة على مايؤمن به امراً محرماً ومحظوراً ، وما ذلك الا لانهم لا دليل عندهم على صحة عقائدهم ، وحرصاً منهم على ان يبقى اتباعهم سطحيون يتبعونهم فى كل مايقولون لهم ويفرضونه عليهم ولان المجادلة والمناقشة تظهر لهم حقائق خلاف مايؤمنون .

ولكن الدعوة الاسلامية قد اخذت على نفسها ان لايتبعها الناس اعتباطاً وانما اذعاناً للبراهين والادلة ، وتسليما للحجيج التي تقدمها لبيان صحة احكامها وتشريعاتها . لذا نراها تنادي الناس كلهم وتدعوهم الى المنطق والعقل والى المحاججة والمجادلة بالتي هي احسن :

قال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » (١)

« ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا

---

(١) سورة النحل آية (١٢٥)

الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » (١)

« وجادلهم بالتي هي احسن اي ناظرهم بالقرآن وباحسن ماعندك من الحجج وقيل هو ان يجادلهم على قدر ما يحتملون كما جاء في الحديث « امرنا معاشر الانبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم » (٢)

« ولقد قامت الدعوة الاسلامية نفسها على اساس العقل فها هو القرآن ، يعتمد في اثبات وجود الله ويعتمد في اقناع الناس بالاسلام ، ويعتمد في حملهم على الايمان بالله ورسوله وكتابه ، يعتمد القرآن في ذلك كله اعتماداً اساسياً على استثارة تفكير الناس ، وايقاظ عقولهم بشتى الوسائل الى التفكير في خلق السموات والارض وفي خلق انفسهم وفي غير ذلك من المخلوقات ، ويدعوهم الى التفكير فيما تقع عليه ابصارهم وما تسمعه آذانهم ليصلوا من وراء ذلك كله الى معرفة الخالق وليستطيعوا التمييز بين الحق

---

(١) سورة العنكبوت آية (٤٦)

(٢) البحار جـ١٨ ص ١٦١ الطبعة الحديثة

والباطل . » (١)

ومع هذا فالمشركون حاولوا عن طريق المغالطة ، ان يجادلوا بغير علم قال تعالى : « ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق . » (٢)

« ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد » (٣)

« مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد » (٤)

« جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً مع الوليد ابن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم فى المجلس ، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه . ثم تلا عليهم وعليه : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون ، لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون . »

---

(١) التشريع الجنائي الاسلامى ـ عبدالقادر عودة جـ١ ص٣

(٢) سورة الكهف آية (٥٦)

(٣) سورة الحج آية (٣)

(٤) سورة غافر آية (٤)

وهم فيها لايسمعون » ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس فقال الوليد ابن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى . والله ماقام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد إنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم . فقال عبد الله بن الزبعرى : اما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمداً أكل مايعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيزا والنصارى تعبد عيسى بن مريم . فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى . ورأوا انه قد احتج وخاصم . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان كل من احب ان يعبد من دون الله ، فهو مع من عبده ، انهم انما يعبدون الشياطين ومن امرتهم بعبادته فانزل الله عليه في ذلك : « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون » اي عيسى بن مريم وعزيرا ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من اهل الضلالة اربابا من دون الله .

ونزل فيما يذكرون انهم يعبدون الملائكة وانها بنات الله :
« وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون الى قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ونزل فيما ذكر من امر عيسى بن مريم انه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته » ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون اي يصدون عن امرك بذلك من قولهم « وقالوا أآلهتنا خير ام هو ؟ ما ضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون . » (١)

« وقالت اليهود ألست لم نزل نبياً ؟ قال : بلى قالت فلم لم تنطق بالمهد كما نطق عيسى عليه السلام فقال : ان الله عز وجل خلق عيسى من غير فحل فلولا انه نطق في المهد لما كان لمريم عذر إذ أخذت بما يؤخذ به مثلها ، وانا ولدت من ابوين . » (٢)

ومر صلى الله عليه وآله ذات يوم على المشركين وهم

---

(١) التربية الاسلامية السنة الخامسة العدد الثامن ص ٤٦٧

(٢) مناقب ابن شهر اشوب ج ١ ص ٥٤

عاكفون على اصنامهم فقال : « يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم . فقالوا : انما نعبد الاصنام حباً لتقربنا الى الله فانزل الله تعالى :

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته » (١)

« وأجتمعت اليه قريش فقالوا : الى ما تدعونا يامحمد؟ قال : الى شهادة ان لا إله إلا الله وخلع الانداد كلها . قالوا : ندع ثلاث مائة وستين إلهاً ونعبد إلهاً واحداً ؟ ؛ فنزل : وعجبوا ان جاءهم منذر منهم .. الى قوله . . عذاب . » (٢)

وذكروا في سبب نزول الآية الكريمة : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . »

« قيل ان ابي بن خلف ، او العاص بن وائل ، جاء بعظم بال متفتت وقال : يا محمد اتزعم ان الله يبعث هذا؟ فقال : نعم فنزلت الآية . . . اى ضرب المثل في انكار البعث بالعظم البالي وفته بيده وتعجب ممن يقول ان الله

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ص ٣٢٢ .

(٢) مناقب ابن شهر اشوب ج ص ٥٤ .

يحييه ونسي خلقه اي وترك النظر في خلق نفسه اذ خلق من نطفة . . . ثم قال سبحانه في الرد عليه قل يا محمد لهذا المتعجب من الاعادة : يحييها الذي انشأها اول مرة لأن من قـــدر على اختراع ما يبقى فهو على اعادتـه قادر لا محالة . » (٢)

ويحاول اصحاب المبادىء الارضية والمناهج الوضعية اليوم ان ينهجوا نهج اصحاب الجاهلية الاولى فيتصدون للأفكار الاسلامية ويثيرون حولها الشكوك والاوهام ولكن الاسلام وأفكاره التي حطمت واكتسحت جميـــع ما لدى اولئك الجاهليين من شبه واوهام قادرة على دحض جميع شبه واوهام اصحاب هذه المبادىء المفتعلة وأنى لها الصمود امام ما في الاسلام من شمول وسعة وسمو ورفعة .

٤ ـ الاستهزاء بالدعاة والسخرية منهم :

عندما يجد الكفر نفسه عاجزاً عن دحض افكار الدعوة الاسلامية ، ورد مفاهيمها عن طريق المنطق والدليل والبرهان ، وعندما تحقق الدعوة الانتصارات الباهرة في ميادين الجدال والمحاججة

---

(١) تفسير مجمع البيان م ٨ ص ٤٣٤ .

لم يبق لدى الكفر الا الركون الى الاساليب الخبيثة الماكرة، لعله يؤثر على سير الدعوة، ويثبط من عزم الدعاة فيسخر منهم تارة ويستهزأ بهم اخرى. وهذه وسيلة ماكرة توارثها الكفر جيلا بعد جيل، فلقد دأب على الاستهزاء والسخرية بالرسل الكرام عليهم افضل الصلاة والسلام: قال تعالى:

« ولقد استهزيء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون. » (١)

« يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون » (٢)

وهكذا فان مشركي مكة لم يشذوا عن هذا الطريق، طريق الاستهزاء بالرسل والدعاة الى الله والسخرية منهم. قال تعالى:

« واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها .. » (٣)

---

(١) سورة الانعام آية (١٠).

(٢) سورة يسين آية (٣٠)

(٣) سورة الفرقان آية (٤١)

« واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون » (١)

فكان من المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وآله الحكم ابن العاص فقد كان النبي صلى الله عليه وآله « يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بفمه وانفه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : كن كذلك فكان كذلك » (٢)

« ومن استهزاء العاص بن وائل انه كان يقول : غر محمد نفسه واصحابه ان وعدهم ان يحيوا بعد الموت والله مايهلكنا الا الدهر ومرور الايام » (٣)

« ومن استهزائه ان خباب بن الارت رضي الله تعالى عنه كان قينا بمكة اي حداداً يعمل السيوف ، وقد كان باع لعاص سيوفاً فجاءه يقتضي ثمنها فقال له : ياخباب اليس يزعم محمد هذا الذي انت على دينه ان فى الجنة ما ابتغى اهلها من ذهب او فضة او ثياب او خدم او ولد ؟ قال

---

(١) سورة الانبياء آية (٣٦)

(٢) السيرة الحلبية جـ١ ص ٣٥٤

(٣) السيرة الحلبية جـ١ ص ٣٥٥

خباب بلى قال : فأنظرني الى يوم القيامة ياخباب حتى ارجع الى تلك الدار فأقضيك هناك حقك ؛ والله لاتكونن انت وصاحبك آثر عند الله مني ولا اعظم حظاً في ذلك ، وفي لفظ ان العاص قال : لا اعطيك حقك حتى تكفر بمحمد فقال : والله لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرني حتى اموت ثم ابعث فسوف اوتى مالا وولدا فاقضيك فانزل الله تعالى فيه : « افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه مايقول ويأتينا فردا » (١)

وعندما نزلت الآية الكريمة « وانذر عشيرتك الاقربين » وصنع النبي صلى الله عليه وآله طعاماً ابني عبد المطلب واجتمعوا يومئذ على الطعام اربعون رجلا وكان فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يكلمهم حال ابو لهب بينه وبين الكلام وتفرق الناس وعاد في اليوم الثاني وصنع لهم طعاماً ودعاهم

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص ٣٥٥

اليه فلما فرغوا منه « تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يابني عبد المطلب اني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به . اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد امرني الله عز وجل ان ادعوكم اليه فايكم يؤمن بي ويؤازرني على امري فيكون اخي ووصي ووزيري وخليفتي في اهلي من بعدى ؟ (١)

فقام علي بن ابي طالب عليه السلام فقال انا يانبي الله اكون وزيرك على مابعثك الله به ، بعد ان امسك القوم كلهم عن الكلام : فاخذ رسول الله عليه وآله بيد علي عليه السلام ثم قال : « ان هذا اخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب : قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع » (٢)

وكان الاسود بن عبد يغوث من المستهزئين بالدعاة المسلمين « كان اذا رأى المسلمين قال لاصحابه ـ استهزاء بالمسلمين ـ : قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر لان

---

(١) البحار جـ١٨ ص١٩٢ الطبعة الحديثه

(٢) المصدر نفسه

الصحابة كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن » (١)

« وكان هذا الاسود مع اخلائه يجلسون على قارعة الطريق فاذا مر بهم المسلمون وهم قليلون، تغامز بهم وضحك منهم فلا يزيدهم ذلك الا احتقارا للمستهزئين سموا بنفوسهم وترفعا باخلاقهم واي شرف اعلى من ان تنزل الآيات الكريمات تبث محامدهم وتنشر على الدنيا محاسنهم ثم تبشرهم بكريم الرجعى وتنذر خصومهم بسوء العقبى : ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون . واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا : ان هؤلاء لضالون . وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يعملون ؟ » (٢)

وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ان الذين اجرموا « يعني كفار قريش ومترفيهم كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابهم (كانوا من الذين آمنوا) يعني

---

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص٣٥٦

(٢) دراسات اسلامية محمد عبد الرحمن الجديلي ص٥٦

اصحاب النبي صلى الله عليه وآله مثل عمار وخباب وبلال وغيرهم (يضحكون) على وجه السخرية بهم والاستهزاء في دار الدنيا ، او من جدهم في عبادتهم لانكارهم البعث او لابهام العوام : ان المسلمين على باطل (واذا مروا بهم) اي بالمؤمنين (يتغامزون) اي يشير بعضهم الى بعض بالاعين والحواجب استهزاء بهم » (١)

٥ ـ صد الناس عن الدعوة والدعاة :

والتعرض لمن يريد الاقتراب من الدعوة الاسلامية والدعاة ومحاولة ابعاده عنها ، ان صفاء الدعوة الاسلامية الذي لا يشوبه الكدر ، قد اخذ يجذب النفوس الصافية التي لم تتلوث بأدران الجاهلية ، والتي كانت تترقب معين الاسلام العذب لتلتقي به وتنهل منه .

فالذي يراجع التاريخ يجد الكثير من ذوي الفطر السليمة على اختلاف اجناسهم وقومياتهم وبلدانهم ، كانوا يعيشون بعيداً عن عادات مجتمعاتهم الجاهلية فلما وصل اليهم نبأ انبثاق الدعوة الاسلامية تقاطروا على مركز الدعوة ومكان الداعية صلى الله عليه وآله ، مكة المكرمة والمدينة المنورة

---

(١) البحار ج ١٨ ص ١٧٢

« قال ابو ذر : صليت قبل الاسلام : قبل ان القى رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث سنين فقلت لمن ؟ قال : لله . فلقت : اين تتوجه ؟ قال : اتوجه حيث يوجهني الله . » (١)

ومما يدل على ذلك انه جاء يهود بني قريظة وبني النظير وبني القينقاع الى النبي صلى الله عليه وآله « فقالوا : يامحمد الى ماتدعوا ؟ الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله ، واني الذي تجدونني مكتوبا في التوراة ، والذي اخبركم به علماؤكم ان مخرجي بمكة ومهاجري في هذه الحرة واخبركم عالم منكم جاءكم من الشام فقال : تركت الخمر والخمير وجئت الى البؤس والتمور لنبي يبعث في هذه الحرة مخرجه بمكة ومهاجره ههنا ، وهو آخر الانبياء وافضلهم ، . فقالوا له : قد سمعنا ماتقول وقد جئناك لنطلب منك الهدنة على ان لانكون لك ولا عليك .. » (٢)

وقد ادرك بعضهم ظهور الدعوة الاسلامية فاقبلوا عليها

---

(١) الغدير جـ٨ ص٣٠٨

(٢) البحار جـ١٩ ص١١٠ الطبعة الحديثة

بكل جوارحهم ، وشعرت قريش بخطرهم فاخذت تحول دون وصولهم الى الدعوة والداعية وتتصدى لهم لبعدهم عنها :

ذكر الطبرسي :

« قال علي بن ابراهيم : قدم اسعد بن زرارة وذكوان ابن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهورا طويلة وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار وكان آخر حرب بينهم يوم بعاث ، وكانت الاوس على الخزرج فخرج اسعد ابن زرارة وذكوان الى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الاوس وكان اسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعـة فنزل عليه فقال له : انه كان بيننا وبين قومنا حرب وقـد جئناكم نطلب الحلف عليهم .

فقال عتبة : بعدت دارنا عن داركم ولنا شغل لا نتفرغ لشيء .

قال : وما شغلكم وانتم في حرمكم وامنكم .

قال له عتبة : خرج فينا رجل يدعي انه رسول الله سفه احلامنا وسب آلهتنا وأفسد شبابنا وفرق جماعتنا .

فقال له اسعد : من هو منكم ؟

قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، من اوسطنا شرفا وأعظمنا بيتاً .

وكان اسعد وذكوان وجميع الاوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم ، النظير ، وقريظة ، وقينقاع : ان هذا اوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلنكم به يا معشر العرب !!

فلما سمع ذلك اسعد وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود قال : فاين هو ؟ قال : جالس فى الحجر وانهم لا يخرجون من شعبهم الا في الموسم فلا تسمع منه ، ولا تكلمه فانه ساحر يسحرك بكلامه ، وكان هذا فى وقت محاصرة بني هاشم فى الشعب .

فقال له اسعد : فكيف اصنع وانا معتمر لا بد لي ان اطوف بالبيت ؟

فقال : ضع في اذنيك القطن . فدخل اسعد المسجد وقد حشا اذنيه من القطن فطاف بالبيت ورسول الله (ص) جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم فنظر اليه نظرة فجازه فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه : ما اجد اجهل

مني يكون مثل هذا الحديث بمكة فلا اعرفه حتى ارجع الى قومي فاخبرهم ثم اخذ القطن من اذنيه ورمى به وقال رسول الله : انعم صباحاً فرفع رسول الله رأسه اليه وقال : قد أبدلنا الله به ما هو احسن من هذا تحية اهل الجنة السلام عليكم .

فقال اسعد : ان عهدك بهذا لقريب ، الى ما تدعو يا محمد ؟ قال : الى شهادة ان لا إله إلا الله واني رسول الله وأدعوكم الى ان لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون ، ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا يكلف الله نفساً الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم لعلكم تذكرون .

فلما سمع اسعد قال :

اشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وانك

رسول الله بابي انت وامي انا من اهل يثرب من الخزرج وبيننا وبين اخواننا من الأوس حبال مقطوعة فان وصلها الله بك فلا احد اعز منك ومعي رجل من قومي فان دخل في هذا الامر رجوت ان يتم الله لنا امرنا فيك والله يارسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك وكانوا يبشروننا بمخرجك ويخبروننا بصفتك وارجو ان تكون دارنا دار هجرتك وعندنا مقامك فقد اعلمنا اليهود ذلك فالحمد لله الذي ساقني اليك ، والله ما جئت الا انطلب الحلف على قومنا وقد اتانا الله بافضل ما اتيت له .. ثم اقبل ذكوان فقال له اسعد : هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشرنا به وتخبرنا بصفته فهلم فاسلم ، فأسلم ذكوان ثم قالا : يارسول الله ابعث معنا رجلا يعلمنا القرآن ، ويدعوا الناس الى امرك . فقال رسول الله لمصعب بن عمير وكان فتى مترفا بين ابويه يكرمانه ويفضلانه على اولادهم ولم يخرج من مكة فلما اسلم جفاه ابواه وكان مع رسول الله في الشعب حتى تغير واصابه الجهد فامره رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج مع اسعد وقد كان يعلم من القرآن كثيراً . فخرج هو مع اسعد ومعهما مصعب ابن عمير وقدموا على قومهم واخبروهم بامر رسول الله وخبره

فاجاب من كل بطن الرجل والرجلان . وكان مصعب نازلا على اسعد بن زرارة ، وكان يخرج في كل يوم ويطوف على مجالس الخزرج ويدعوهم الى الاسلام فيجيبه الاحداث وكان عبد الله ابن ابى شريفا فى الخزرج وقد كان الاوس والخزرج اجتمعت على ان يملكوه عليهم اشرفه وسخائه ، فقد كانوا اتخذوا له إكليلا ، احتاجوا في تمامه الى واسطة ، كانوا يطلبونها ، وذلك انه لم يدخل مع قومه الخزرج فى حرب بعاث ، ولم يعن على الاوس وقال : هذا ظلم منكم للاوس ، ولا اعين على الظلم ، فرضيت به الاوس والخزرج فلما قدم اسعد ، كره عبد الله ماجاء به اسعد وذكوان وفتر امره .

فقال اسعد لمصعب : ان خالي سعد بن معاذ من رؤساء الاوس وهو رجل عاقل شريف مطاع فى بني عمر بن عوف ، فان دخل فى هذا الامر ، تم لنا امرنا ، فهلم نأتي محلتهم فجاء مصعب مع اسعد الى محلة سعد بن معاذ فقعد على بئر من آبارهم ، واجتمع اليه قوم من احداثهم ، وهو يقرأ عليهم القرآن فبلغ ذلك سعد بن معاذ ، فقال لاسيد بن حضير ـ وكان من اشرافهم ـ بلغني ان ابا امامـة اسعد بن زرارة قد جاء الى محلتنا مع هذا القرشي يفسد شبابنا فأته وانهه

عن ذلك فجاء اسيد بن حضير فنظر اليه اسعد فقال لمصعب ابن عمير : ان هذا رجل شريف فان دخل في هذا الامر رجوت ان يتم امرنا ، فأصدق الله فيه . فلما قرب اسيد منهم قال : يا ابا امامة يقول لك خالك : لا تأتنا في نادينا ، ولا تفسد شبابنا . واحذر الاوس على نفسك فقال مصعب ! او تجلس فنعرض عليك امراً فان احببته دخلت فيه ، وان كرهته نحينا عنك ما تكرهه .

فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن .

فقال : كيف تصنعون اذا دخلتم في هذا الامر قال نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين . فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر . ثم خرج وعصر ثوبه ثم قال : اعرض علي . فعرض عليه شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فقالها ثم صلى ركعتين . ثم قال لاسعد : يا ابا امامة انا ابعث اليك الآن خالك واحتال عليه ان يجيبك . فرجع اسيد الى سعد بن معاذ ، فلما نظر اليه سعد قال : ان اسيداً قد رجع الينا بغير الوجه الذي ذهب من عندنا ، فاتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب حم تنزيل من الرحمن الرحيم فلما سمعها قال مصعب : فوالله لقد رأيت الاسلام في وجهه

قبل ان يتكلم فبعث الى منزله واتي بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوله اليه وقال : اظهر امرك ولا تهابن احدا ، ثم جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح : يابني عمرو بن عوف لا يبقين رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبي الا ان يخرج فليس هذا يوم ستر ولا حجاب ، فلما اجتمعوا قال : كيف حالي عندكم ؟ قالوا انت سيدنا والمطاع فينا ولا نرد لك امرا فمرنا بما شئت فقال كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم علي حرام حتى تشهدوا ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، والحمد لله الذي اكرمنا بذلك وهو الذي كانت اليهود تخبرنا به . فما بقي دار من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم الا وفيها مسلم او مسلمة وحول مصعب بن عمير اليه وقال له : اظهر امرك وادع الناس علانية . وشاع الاسلام بالمدينة . » (١)

وهكذا . . اخذ الاسلام يشع وينتشر ولن يقف زحفه - بالرغم من العقبات التي وضعتها قريش لتحول دون

---

(١) اعلام الورى ص٣٦ - ٣٩

انتشاره ، ولتصد القريبين عنه . فانها لم تفلح في شيء من ذلك ابدا ، ولم ينفعها حتى ذلك القطن الذي وضعته في اذني اسعد بن زرارة لتمنعه من الاصغاء لصوت الدعوة الاسلامية .

ولكنها بالرغم من كل هذا الفشل الذريع الذي منيت به فانها لم تترك محاولاتها في هذا المجال .

فقد ذكر المؤرخون ، وأرباب السير : ان الطفيل ابن عمرو الدوسي لما قدم مكة وكان شاعراً لبيباً وسيداً مطاعاً في قومه ، خافت قريش من اسلامه فارادت ان تحول دونه فمشى اليه رجال منهم فقالوا له :

« يا ابا الطفيــــل (كنوه بذلك تعظيما له فلم يقولوا يا طفيل .) انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا قد اعضل امره بنا اي اشتد وفرق جماعتنا وشتت امرنا وانما قوله كالسحر يفرق به بين المرء واخيه اي وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه . » (١)

---

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٤٠٣

« وما زالوا به يحدثونه ويخوفونه ويقصون له بعض ما فرق به ابن عبد الله جماعتهم ، حتى اجمع ان لا يسمع منه ولا يكلمه . يقول : فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت ان لا اسمع منه شيئاً ولا اكلمه ..

فغدوت الى المسجد وقد حشوت اذني كرسفاً (اي قطناً) فرقا من ان يبلغني شيء من قوله حتى كان يقال لي ذو القطنتين . وفرحت قريش يومها وتيقنوا ان سيد بني دوس لن يصله من قول رسول الله ولكن ما لدعوة الله لاتقف في وجهها حجب او سجف .

يقول الطفيل : فغدوت يوماً الى المسجد فاذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريباً منه فأبى الله الا ان يسمعني بعض قوله . فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي : واثكل امي والله أني رجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني من ان اسمع من هذا الرجل ما يقول . وأخذ الطفيل يراقب رسول الله حتى اذا دخل بيته استأذن الطفيل عليه ودخل .

ثم قال يا محمد ان قومك قالوا لي كذا وكذا . للذي

قالوا لا اسمع قولك ثم ان الله ابى الا ان يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فاعرض علي امرك .

فعرض عليه الرسول الاسلام وتلا عليه القرآن فقال : لا والله ما سمعت قولا قط احسن من هذا ولا امراً اعدل منه . فاسلمت وشهدت شهادة الحق ثم قلت :

ـ يا نبي الله ، اني امرؤ مطاع في قومي وانا راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يكون لي عونا عليهم فيما ادعوهم اليه .

فقال : اللهم اجعل له آية . وخرج الطفيل من عند الرسول . وصاح الصائح في قريش قد اسلم سيد دوس وآمن ...

واجتمعت قريش على الصائح هذا فأخبرهم الخبر وارتجف القرشيون وارعدوا ولكنهم لا يستطيعون ان ينالوا من الطفيل شيئاً والا تألبت عليهم دوس جميعها . وأقبل الطفيل بطلعته البهية فما استطاعوا منه شيئاً .

وأقام الطفيل ما اراد الله له الاقامة ثم خرج الى قومه يقول : « فخرجت الى قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على

الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح ، فقلت اللهم في غير وجهي فاني اخشى ان يظنوا انها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم فتحول النور فوقع في رأس سوطي فجعل الحاضرون يتراؤون ذلك النور فى سوطي كالقنديل المعلق .

وولج الطفيل الحي . ودخل بيته فأتاه ابوه فقال له :

ـ اليك عنى يا أبتاه فلست منى ولست منك .

ـ ولم يا بنى ؟

ـ انى اسلمت واتبعت دين محمد .

ـ يا بنى دينى دينك . ثم طلب منه ان يعرض عليه هذا الدين حتى اذا كان حقاً آمن به ، فقال له الطفيل : اذهب فاغتسل وطهر ثيابك .

فذهب ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ، ثم اتته امرأته فقال لها :

ـ اليك عنى فلست منك ولست منى .

ـ ولم بأبي انت ؟

ـ فقال فرق بينى وبينك الاسلام اني أسلمت وتابعت دين محمد فطلبت منه ان يعرض عليها هذا الدين فقال لها :

اذهبي الى ذي الثرى فتطهري منه (وهو ماء قريب) فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرض عليها الاسلام فأسلمت . . . اسلم آل بيت الطفيل جميعا ، وكان لا بد للطفيل بعد ذلك ان يدعو قومه الى عبادة الله الواحد الاحد ، وحسب الامر هينا متساغا فقام في قومه بعد مقامه بقليل يدعوهم الى الله ورسوله وانتظر ان يجيبوه فما اجابوا . بل سخروا منه وعابوه واصبح هذا البيت الدوسي الرفيع المنار مرمى السخريات والاضطهاد فقد زادت دوس تعلقا باصنامها ومحاربة لدعوة رسول الله . والطفيل لا يهدأ ولا يكل ، يعيب اصنامهم ويسفهونه حتى ضاقوا به وضاق بهم . . .

فخرج الى رسول الله يلتمس منه القوة والبأس فلما تقابلا قال له الطفيل : يا رسول الله قد غلبتني دوس فادع عليهم . . وأخذ يقص على الرسول الاعظم ما يلقاه منهم من عنت واضطهاد ، وما يقابلون به دعوة الله من سخرية ونكاية فقال الرسول : اللهم اهد دوسا وأئت بها ، اخرج الى قومك فادعهم وارفق بهم .

وعاد الطفيل الى قومه ، وقد ازداد قوة وبأسا يدعوهم

فلا يستجيبون : ولكن الدعوة الحقة الصادرة عن القلب المؤمن الكبير لا بد ان تجد آخر الامر التربة الصالحة . فتنموا احسن النمو . .

هاجر رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم الى المدينة ومضت بدر وأحد والخندق وجاهد فيها من جاهد من اولئك الشهداء الخالدين . وفات الطفيل بن عمرو هذه الوقائع الثلاث ولكنه كان يقوم بجهاد دقيق عظيم . . جهاد الدعوة فى سبيل الله حتى استجاب له ثمانون بيتا من دوس اقبل بهم الى المدينة ورسول الله بخيبر فسار اليه بهم، وفي خيبر قال لرسول الله اجعلنا ميمنتك واجعل شعارنا مبرورا ففعل رسول الله وابلى الدوسيون احسن البلاء واستشهد منهم من استشهد واسهم لهم رسول الله . واقام الطفيل مع رسول الله في المدينه حتى فتح مكة فقال الطفيل يا رسول الله : ابعثني الى ذي الكفين (صنم عمرو بن حممة) حتى احرقه فبعثه اليه . وذهب الطفيل الى صنم قومه . وجعل المسلمون يجمعون الحطب ثم اشعل النار في الصنم وكان من خشب وهو يرتجز :

يا ذا الكفين لست من عبادك   ميلادنا أقدم من ميلادك
أنا حششت النار فى فؤادك

والمسلمون يرتجزون وراءه ، ودوس تنظر صنمها وهو يحترق ... وبان لهم انه ليس على شيء فأسلموا جميعاً » (١)

وقد جاء في الخبر ان اعشى بن قيس خرج الى رسول الله صلى الله عليه وآله يريد الاسلام « فلما كان بمكة او قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فاخبره انه جاء يريـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم

فقال له : يا ابا بصير فانه يحرم الزنا .

فقال الاعشى : والله ان ذلك لامر مالي فيه من ارب .

فقال له : يا ابا بصير فانه يحرم الخمر .

فقال الاعشى : اما هذه فوالله ان فى النفس منها العلالات ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ثم آتيه فاسلم فانصرف فمات في عامه هذا ولم يعد الى رسول الله

---

(١) شهـــداء الاســـلام الدكتور علي سامي النشار ص ١٣٩ - ١٤١ .

صلى الله عليه وسلم (١) .

وذكر المؤرخون في سبب تأخر اسلام صيفي بن الاسلت المكى بابي قيس واتباعه من الاوس مع انه كان قوالا للحق قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة الخ ماذكروا له من الصفاة الحميدة التي تقربه من الاسلام فقالوا :

« وسبب تاخر اسلامه انه لما اراد الاسلام عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينه لقيه ابى بن سلول وكلمه بما اغضبه ونفره عن الاسلام وقال ابو قيس . لا اتبعه الا آخر الناس فلما احتضر ارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قل لا اله الا الله اشفع لك بها فقالها » (٢)

ولننظر هل تمكنت قريش وامثالها ان توقف زحف الدعوة الاسلامية وانتشارها الرائع بمثل هذه الاساليب ؟ ام انها فشلت ؟ لاشك أنها فشلت وخاب ظنها وطاش سهمها ولم ينفعها ذلك القطن الذي وضعته فى اذن اسعد بن زرارة ولا فى اذن

---

(١) التربية الاسلامية السنة السادسة العدد الثاني عشر ص ٧٤١ .

(٢) السيرة الحلبية جـ٢:ص١٥

الطفيل بن عمرو وان القارىء ليندهش حينما تمر عليه قصة اسيد بن حضير الذي جاء ليطرد مصعب بن عمير ويمنعه من التحدث عن الاسلام في يثرب ولكنه بعد ان تعرض عليه الدعوة لم يتمالك ان يرمي بنفسه فى البئر ليغتسل هو وثيابه من اوضار الجاهلية وليدخل في عداد الدعاة الى الاسلام نقيا ببدنه وبثيابه وبقلبه وادهش من ذلك ان سعد بن معاذ لم يكتف بان يدخل فى الاسلام ولم ينم ليلة واحدة بعد اسلامه الا بعد ان دعى قومه الى الدخول في الاسلام والا بعد ان دخل الاسلام جميع بيوتهم

٦ ـ التصدي للدعاة انفسهم لاخراجهم من الدعوة وفتنتهم عن دينهم :

بذل المشركون واعداء الدعوة الاسلامية كل مافي وسعهم من طاقة ونشاط في سبيل ايقاف نمو الاسلام او تضييق دائرة انتشاره ، ولما رأوا كل اساليبهم تعود عليهم بالخيبة والفشل ، استهدفوا الدعاة انفسهم لصدهم وارجاعهم عن الاسلام ،

وفتنتهم عن دينهم ، واستعملوا لذلك مختلف الاساليب وتوسلوا بكل حيلة فهددوا التاجر بتجارته . والشريف بشرفه ، والضعيف بتعذيبه وهكذا . ولكنهم بالرغم من كل مابذلوه عادوا خائبين - كما هو شأنهم - دون ان ينالوا مرادهم لان المسلم الذي آمن بالاسلام وتغلغلت تعاليمه الى اعماق قلبه لم يكن ليرده عن دينه شيء من المغريات والمرهبات وان من يرتد عن الاسلام لدليل على أنه لم يدخل الاسلام الى قلبه ولم يعرف عنه شيئاً ، ومثل هذا لاخير فيه .

فتصدوا لكل من علموا منه الاسلام ليردوه الى الجاهلية فقد ذكر المؤرخون : ان المشركين « كانوا اذا سمعوا بان رجلا اسلم وله شرف ومنعة جاءوا اليه ووبخوه وقالوا له : ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك . وان كان تاجرا قالوا : والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك . وان كان ضعيفاً اغري به حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحرث ابن ربيعة بن الاسود وابي قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي ابن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر » (١)

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص٣٣٤

وفي تاريخ اليعقوبي « واشتد على القوم العذاب ونالهم منه امر عظيم فرجع عن الاسلام خمسة نفر » (١)

قال تعالى : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واؤلئك اصحاب النار هم فيها خالدون » (٢)

« وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك » (٣)

وقد قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة وفد من نجران « وهم قوم من النصارى ونجران بلدة بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى وكانوا نحوا من عشرين رجلا حين بلغهم خبره ممن هاجر من المسلمين الي الحبشة فوجدوه صلى الله عليه وسلم في المسجد فجلسوا اليه وسألوه وكلموه ، ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسئلة رسول الله صلى الله

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢

(٢) سورة البقرة آية (٢١٧)

(٣) سورة الاسراء آية (٧٣)

عليه وسلم كما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وعرفوا منه ماهو موصوف به في كتابهم فلما قاموا عنه اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب ، بعثكم من وراؤكم من اهل دينكم ترتادون اي تنظرون الاخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه عما قال لانعلم ركباً احمق اي اقل عقلا منكم فقالوا لهم : سلام عليكم لانجاهلكم لنا مانحن عليه ولكم ما انتم عليه . ويقال نزل فيهم قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب . . الى قوله . . لانبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى : « واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » (١)

وذكر المجلسي ذلك فقال :

« وخرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون وفتنوهم عن دينهم فافتتنوا فانزل الله فيهم : « ومن الناس

---

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص٣٨٣

من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » فكتب بها المسلمون اليهم ، ثم نزلت فيهم :

« ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » (١)

وهكذا لم يستطع اعداء الدعوة الاسلامية ان يؤثروا على الدعاة او يشككوهم في امرهم وان الذين ارتدوا عن الاسلام وعادوا الى الكفر ان هولاء لم يكن الاسلام يتجاوز شفاههم فضلا عن حناجرهم وان امثال هؤلاء لا تفرح بهم الدعوة الاسلامية عندما يعلنون انهم اتباعها ولا تسخط او تتضرر عندما يعلنون الخروج منها ولنعم ما قال الشاعر :

ما زاد حنون في الاسلام خردلة

ولا النصارى لهم شغل بحنون

٧ - استعمال وسائل الاعلان للتهريج ضد الدعوة والدعاة

وهي يوم ذاك الشعر والخطابة لقد جند المشركون كل

---

(١) البحار ج١٩ الطبعة الحديثه

قوام الاعلامية من خطبا. وشعراء للنيل من الدعوة الاسلامية والدعاة اليها ، واظهارهم بمظهر اناس غايتهم الاعتداء على الكرمات وهدر الدماء ونهب الاموال . و . و . و حتى قالوا عنهم انهم يريدون هدم الكعبة الى اخر ماهنالك من المفتريات .

ففي السيرة الهشامية « من بعضهم قال : اني غلام شاب مع ابي بمنى ورسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقف في منازل القبائل من العرب فيقول :

يابني فلان إني رسول الله اليكم ، آمركم ان تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ماتعبدون دونه من هذه الانداد ، وان تؤمنوا بي وان تصدقوني وتمنعوني حتى انبيء عن الله مابعثني به ، وخلفه رجل احول له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل : يابني فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم الى ماجاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه ، فقلت لابي من هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه مايقول قال : هذا عمه عبد العزى ابن عبد المطلب يعني ابا لهب » (١)

---

(١) سيرة احمد زيني دحلان هامش السيرة الحلبية ج١ ص ٢٩٦

« ولما نزلت « تبت يدا ابي لهب » . جاءت ام جميل عمة معاوية الى النبي عليه السلام وبيدها فهر (١) ولها ولولة وهي تقول :

مذمماً ابينا ودينه قلينا
وامره عصينا

(وتعني بقولها مذمماً محمداً صلى الله عليه وآله) والنبي في المسجد فقيل يارسول الله قد اقبلت ام جميل وانا نخاف ان تراك . فقال : انها لن تراني فوقفت على المسجد وقالت : قد بلغني ان صاحبكم هجاني فقالوا : لا ورب هذا البيت ماهجاك فولت وهي تقول : قد علمت قريش اني ابنة سيدها » (٢)

« وروى ان النبي صلى الله عليه وآله قال : صرف الله سبحانه عني ثم انهم يذمون مذمما وانا محمد » (٣)

ولم يترك اعداء الدعوة قبيلة من القبائل الا وذهبوا اليها وبينوا لها بان الرجل ساحر وكذاب . . قد افسد شبابنا ،

---

(١) الفهر بالكسر : الحجر قدر مايدق به الجوز اوبملأ الكف (الاصل)

(٢) مناقب ابن شهر اشوب ص ٦٨ ج١

(٣) البحار ج ١٨ ص١٧٦ الطبعه الحديثة

وسفه احلامنا . . فكان النبي صلى الله عليه وآله إذا اراد مخاطبة الناس بالدعوة ، والاتصال باحدى القبائل لم يجد منهم سوى الرفض والرد والكلام الخشن .

« ولم يأت احدا من تلك القبائل الا قالوا : قوم الرجل اعلم به اترون ان رجلا يصلحنا وقد افسد قومه ولفظوه ؟ » (١)

وراحت هذه الاشاعات هنا وهناك لتفسد على الدعوة الاسلامية أمرها واذا بها تكون سبباً لجلب اعداد من الدعاة اليها . فهذا ابو ذر الغفاري تصل الدعوة الى مسامعه عن طريق الاعداء وتهريجهم ضدها واذا به يبحث عن الحقيقة كما هي لا كما يزعم الزاعمون فاقد صدقهم في خبرهم عن ظهور رجل يدعى انه نبي وحكموا عليه بان ساحر وكذاب صدقهم في اخبارهم ولم يصدقهم في حكمهم بل اراد ان يتعرف الامر بنفسه او بأقرب الناس اليه فارسل اخاه ليأتيه بالخبر اليقين .

ذكر الاميني في الغدير : اخرج ابن سعد والشيخان في الصحيحين من طريق ابن عباس واللفظ للاول .

قال : لما بلغه (٢) ان رجلا خرج بمكة يزعم انه

---

(١) البحار ج١٩ ص٦ الطبعة الحديثة

(٢) يعني ابا ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه

نبي ارسل اخاه .

فقال : اذهب فأتني بخبر هذا الرجل وبما تسمع منه .

فانطلق الرجل حتى أتى مكة فسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى ابي ذر فاخبره انه : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بمكارم الاخلاق .

فقال ابو ذر : ما شفيتني !!

فخرج ابو ذر ومعه شنة فيها ماؤه وزاده حتى اتى مكة ففرق ان يسأل احدا عن شيء ولما يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فادركه الليل فبات في ناحية المسجد فلما اعتم مر به علي (ع) .

فقال : ممن الرجل ؟

قال : رجل من بني غفار .

قال : قم الى منزلك .

قال فانطلق به الى منزله . ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء . وغدا ابو ذر يطلبه فلم يلقه وكره ان يسأل احدا عنه فعاد فنام حتى امسى فمر به علي (ع) .

فقال : اما آن للرجل ان يعرف منزله ؟ فانطلق به فبات حتى اصبح لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ،

فاصبح اليوم الثالث فاخذ على علي (ع) ان افشى اليه الذي يريد ليكتمن عليه وليسترنه فقبل فاخبره انه بلغه خروج هـذا الرجـل يزعم انه نبي ، فارسلت اليه اخي ليأتيني بخبره وبما سمع منه ، فلم يأتيني بما يشفيني من حديثه فجئت بنفسي لألقاه .

فقال له علي (ع) : اني غاد فاتبع اثري ، فاني ان رأيت ما اخاف عليك اعتللت بالقيـام كأني اهريق الماء فآتيك ، وان لم ار احدا فاتبع أثري حتى تدخل حيث ادخل . ففعل حتى دخل على اثر علي (ع) على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم من ساعته » (١) وهكذا انقلبت دعاياتهم عليهم .

وذكر المؤرخون : « خرج كعب بن زهير بن ابي سلمى ، او ابو سلمى ربيعة المزني ، ومعه اخوه بجير حتى اتيـا ابرق العزاف .

فقال بجير : اثبت في غنمنا حتى آتي هذا الرجل يعني

---

(١) الغدير جـ ٨ ص ٣٠٩ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمع منه ، فأقام كعب وسار بجير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم .

وبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا ابلغا عني بجيراً رسـالة

فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا ؟

سقاك بها المأمور كاساً روية

فأنهلك المأمور منهـا وعلكا

ففارقت اسباب الهدى واتبعتـه

على اي شيء ويب غيرك دلكا

على خلق لم تلف اماً ولا اباً

عليه ولم تـدرك عليه اخاً لكا

فان انت لم تفعل فلست بآسف

ولا قائـل اما عثرت لعا لكا

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قوله غضب واهدر دمه ، فكتب بذلك بجير الى اخيه بعد عود رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف وقال : النجاء النجاء ، وما ادري ان تنفلت .

ثم كتب اليه : « اذا اتاك كتابي هذا فاسلم واقبل اليه فانه لا يأخذ مع الاسلام بما كان قبله فاسلم كعب » (١)

وقال ابن هشام ان بجيراً أرسل الى اخيه كعب بهذه الابيات :

من مبلغ كعباً فهل لك في التي
تلوم عليها باطلا وهي احزم

الى الله لا العزى ولا اللات وحده
فتنجوا اذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من الناس الا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شيء دينه
ودين ابي سلمى علي محرم

فلما وصلته هذه الابيات أسلم ، ونظم قصيدته اللامية المشهورة وقدم على النبي (ص) وقرأها عليه فعفى عنه وخلع عليه بردته .

ومن الذين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٨٦

« الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي وكان يؤذي رسول الله (ص) بمكة وينشد الهجاء فيه .. وعبدالله ابن الزبعرى السهمي وكان يهجو رسول الله (ص) بمكة ويعظم القول فيه . » (١)

فكل هذه الاساليب الاعلامية التي استعملها الجاهليون لم تتمكن من عرقلة سير الدعوة الاسلامية ، واليوم وان اختلفت اساليب المهرجين وتعددت وتنوعت فانها لا ولن توقف زحف الدعوة الاسلامية وهي لها بالمرصاد . وستنتصر - باذن الله - على جميع التهريجات والوسائل المستخدمة فيها . والعاقبة للمتقين وليست للمهرجين .

٨ـ ارسال الوسطاء للكف عن الدعوة

استعمل المشركون هذا الاسلوب من جملة الاساليب التي استعملوها ضد الدعوة الاسلامية ، وبغية تعطيل مسيرتها الزاحفة ، ولكنهم لم يفكروا في مدى نجاحه . اقدموا عليه

---

(١) الكامل لابن الاثير جـ ٢ ص ١٦٩ .

وقد كانت تخالج نفوسهم الخيبة وعدم الثقـــة فى استجابة الوسيط او رضوخ صاحب الدعوة للوساطة وقبولها .

اذ انهم يعهدون ان ابا طالب ـ وهو الذي اختاروه وسيطاً ـ من احرص الناس على الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وآله وعن دعوته الاسلامية وقد اخفى اسلامه حتى موته ليتمكن من اداء مهمة الدفاع على أكمل وجه ، وفى مسامعهم صدى قوله :

ولقـد علمت بان دين محمد
من خير اديان البرية دينا
اذهب بني فما عليك غضاضة
وابشر وقر اليوم منك عيونـا
ودعوتني وزعمت انك ناصح
فلقد صدقت وكنت قبل امينا
والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد في التراب دفينـــا

كذلك يعهدون رسول الله صلى الله عليه وآله ، وصلابته فى الاستمرار بالدعوة مهما كلفه الثمن ، وانه غير تارك لها

يوماً ما ، كل ذلك كان المشركون يعرفونه جيدا ولكنهم اصروا على المضي ولو ان الفشل حليفهم .

في تاريخ الطبري والبلاذري : « انه لما نزل « فاصدع بما تؤمر » صدع النبي عليه السلام ونادى قومه بالاسلام فلما نزل : « انكم وما تعبدون من دون الله . . » الآيات اجمعوا على خلافه فحدب عليه ابو طالب ومنعه فقام عتبة والوليد وابو جهل والعاص الى ابي طالب .

فقالوا : ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل آبائنا فأما ان تكفه عنا ، وأما ان تخلي بيننا وبينه فقال لهم ابو طالب قولا رقيقاً وردهم ردا جميلا فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو اليه وأسلم بعض الناس فانهمشوا (١) الى ابي طالب مرة اخرى

فقالوا : ان لك سنا وشرفاً ومنزلة وأنا قد اشتهيناك ان تنهى ابن اخيك فلم ينته وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا وعيب آلهتنا حتى نكفه عنا

---

(١) اي اقبلوا . (من الاصل) .

او تنازله في ذلك حتى يهلك احد الفريقين .

فقال ابو طالب للنبي عليه السلام : ما بال قومك يشكونك ؟

فقال عليه السلام : اني اريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها العجم الجزية .

فقالوا : كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا .

قال ابو طالب : واي كلمة هي يا بن اخي ؟

قال : لا إله الا الله . فقاموا ينفضون ثيابهم ويقولون اجعل الآلهة إلها واحدا ان هـذا لشيء عجاب الى قوله عذاب . » (١)

وروى « الطبري والواحدي باسنادهما عن السدى وروى ابن بابويه في كتاب النبوة عن زين العابدين عليه السلام : انه اجتمعت قريش الى ابي طالب ورسول الله صلى الله عليه وآله عنده .

فقالوا : نسألك من ابن اخيك النصف .

قال : وما النصف منه ؟

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب جـ ١ ص ٥٨ .

قالوا : يكف عنا ونكف عنه ، فلا يكلمنا ولا نكلمه ، ولا يقاتلنا ولا نقاتله الا ان هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب وزرعت الشحناء وانبتت البغضاء .

فقال : يا بن اخي اسمعت ؟

قال : يا عم لو انصفني بنو عمي لاجابوا دعوتي وقبلوا نصيحتي ان الله تعالى امرني : ان ادعو الى دينه الحنيفية ملة ابراهيم فمن اجابني فله عند الله الرضوان والخلود في الجنان ومن عصاني قاتلته حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ... الخ ... » (١)

ولما رأوا ان وساطة ابي طالب لم تفدهم شيئاً ولم تصل بهم الى مرادهم اختاروا وسيطاً آخر لهذه المهمة ، فقد ذكر المؤرخون فى سبب اسلام حصين والد عمران بعد ان اسلم ولده عمران :

« ان قريشاً جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا : كلم هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي صلى الله عليه وسلم ودخل

---

(١) مناقب ابن شهر شوب ج ١ ص ٥٩ .

حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : اوسعوا للشيخ وعمران ولده مع الصحابة .

فقال حصين : ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها ؟

فقال : يا حصين كم تعبد من إله ؟

قال : سبعة في الارض وواحد في السماء !!!

فقال : فاذا اصابك الضر لمن تدعو ؟

قال : الذي في السماء !!

قال : فاذا هلك المال من تدعو ؟

قال : الذي في السماء !!

قال : فيستجيب لك وحده ، وتشرك معه ارضيته في الشرك ؟ يا حصين اسلم تسلم . فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه .

فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما اسلم وفى حقه فدخلني من ذلك الرقة ، فلما اراد الحصين الخروج .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه : شيعوه الى

منزله فلما خرج من سدة الباب اي عتبته رأته قريش قالوا: قد صبا وتفرقوا عنه . » (١)

انظروا كيف انقلبت آمال المشركين آلاما ، ورجاءهم خيبة ، فقد ظنوا انهم يكسبون ويحصلون من صاحب الدعوة على شيء من المهادنة او المداهنة ولكنهم خسروا ولم ينالوا مطلبهم وازداد خسرانهم باسلام الوسيط الذي انتدبوه لهذه المهمة وما ذاك الا لأن طريق الدعوة الاسلامية ابلج واضح وطريقهم مظلم معوج . ثم انظروا الى عمران المسلم ابن حصين الذي دخل وهو كافر فانه لم يجامله ولم يحترمه على ما بينهما من الابوة والبنوة لأنه كافر ولا حرمة للكافر لأنه عدو الله ولكن بعد ان اسلم حصين اصبح ولده مقدراً له ومحترماً اياه بسبب اسلامه لا بسبب ابوته ولو كان عمله منافياً للاسلام لبين النبي صلى الله عليه وآله له ولما اقره عليه ، ولما بكى رقة لصنعه مع ابيه بعد اسلامه .

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣١٨ .

٩ - اغراء قائد الدعوة بالمال والسلطة :

الاغراء بالمال والسلطة وغيرهما لترك الدعوة ، وهكذا ظن المشركون انهم موقفوا زحف الدعوة الاسلامية بالاغراء بالاموال والسلطة والجاه وامثالها من الامور المادية التي هي في نظرهم كل شيء والغاية التى يسعى لتحقيقها الانسان في الحياة ، ولم يعلموا ان الاسلام بتعاليمه قد سمى بالدعاة وحلق بهم من اطار المادة الضيق الى افق المعنويات والاخلاق والعزة والكرامة والفداء والتضحية والايثار . .

ولكن العقول التي رضيت بان تؤمن بالاحجار الجامدة ، وتتخذ منها ارباباً وآلهة ، لم تستطع ان تعرف غير المادة ، واصحاب هذه العقول انطلقوا يضعون المادة امام الداعية الاسلامى ليترك الدعوة .

اجتمع نفر من مشركي اهل مكة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله : « تركت ملة قومك وقد علمنا انه لايحملك على ذلك إلا الفقر ، فانا نجمع لك من اموالنا حتى تكون من

اغنانا فنزل : قل اغير الله اتخذ وليا » (١)

واجتمعوا اليه مرة اخرى فقالوا : « يامحمد شتمت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة . فان طلبت مالا اعطيناك . او الشرف سودناك، او كان بك علة داويناك ، فقال عليه السلام : ليس شيء من ذلك ، بل بعثني الله اليكم رسولا ، وانزل كتابا فان قبلتم ماجئت به فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه اصبر حتى يحكم الله بيننا » (٢)

وروى الطبري والبلاذري والضحاك فقالوا : « لما رأت قريش حمية قومه وذب عمه ابو طالب عنه جاؤا اليه وقالوا : جئناك بفتى قريش جمالا وجوداً وشهامة عمارة بن الوليد ندفعه اليك يكون نصره وميراثه لك ومع ذلك من عندنا مال وتدفع الينا ابن اخيك الذي فرق جماعتنا وسفه احلامنا فنقتله

فقال : والله ما انصفتموني اتعطوني ابنكم اغذوه لكم وتأخذون ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما لايكون ابداً . أتعلمون

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب ج١ ص٤٩

(٢) مناقب ابن شهر اشوب ج١ ص ٥٥

ان الناقة اذا فقدت ولدها لاتحن الى غيره ؟ ثم نهزهم فهموا باغتياله فمنعهم ابو طالب من ذلك وقال فيه :

حميت الرسول رسول الاله

ببيض تلالاء مثل البروق

اذب واحمي رسول الاله

حماية عم عليه شفيق

وانشد :

يقولون دع نصر من جاء بالهدى

وغالب لنا غلاب كل مغالب

وسلم الينا احمداً واكفلن لنا

بنيا ولا تحفل بقول المعاتب

فقلت لهم : الله ربي وناصري

على كل باغ من لؤي بن غالب (١)

وبعثت قريش الى ابي طالب : ادفع الينا محمداً حتى نقتله ونملكك علينا فأنشأ ابو طالب اللامية التي يقول فيها :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه . .

---

(١) مناقب ص٦٠ ، ص٦١ ج١

فلما سمعوا هذه القصيدة ايسوا منه » (١)

ورووا « ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا مطاعا في قريش قال يوما وهو جالس فى نادي قريش اي متحدثهم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يامعشر قريش الا اقوم لمحمد صلى الله عليه وسلم وا كلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا . قالوا : يا ابا الوليد فقم اليه فكلمه - الى ان قالوا ـ فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من السلطة والعشيرة والمكان فى النسب . وانك قد اتيت قومك بامر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به احلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا ابا الوليد اسمع فقال : يا اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا . وان

---

(١) مناقب ج١ ص٦٥

كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لانقطع امرا دونك . وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا اي فيصير لك الامر والنهي . . وان كان هذا الذي يأتيك رؤيا من الجن تراه لاتستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه . حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال : لقد فرغت يا ابا الوليد . قال : نعم قال : فاسمع مني . قال : افعل . قال : بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لايسمعون . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقرأها عليه وقد انصت عتبة لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف عن ذلك ثم قال : قد سمعت يا ابا الوليد ماسمعت فانت وذاك . فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا له : ماوراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني سمعت

قولا والله ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش اطيعوني فاجعلوها الي خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا : سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال : هذا رأي فيه فاصنعوا مابدا لكم » (١)

وفي رواية اخرى ان الوليد جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه اربعون رجلا من الملأ « فجاءهم مسرعا طمعاً في هدايتهم حتى جلس اليهم وعرضوا عليه الاموال والشرف والملك فقال صلى الله عليه وسلم : ماجئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا . » (٢)

وهكذا تذهب جميع محاولات اعداء الدعوة الاسلامية ادراج الرياح دون ان تقف حائلا ، وتواصل الدعوة مسيرتها دون ان توقفها عقبات . واما الذين ينخدعون بالاموال او الجاه

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص٣٣٩

(٢) السيرة الحلبية جـ١ ص٣٤٠

او امثالها من الامور الفانية فانهم خاسرون ولن ينالوا من الله الدرجات العلي التي اعدها سبحانه للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .

١٠ ـ الوشاية بالدعاة لدى الملوك والرؤساء

اشتد اذى قريش على الدعاة ، لأنهم شعروا ان المسلمين يزداد عددهم يوماً بعد يوم بالرغم من كل المحاولات التي قدموها لايقاف ذلك النمو المطرد في الدعاة ، فرأت قريش ان تشتد في اذيتهم ، وما درت ان الافكار الاسلامية قد انغرست فى نفوسهم ، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من كيانهم لا يمكنهم التخلي عنها مهما بلغت قسوة الاعداء .

ولكن نبي الرحمة لا يهون عليه ان يعذب المسلمون بهذا الشكل المؤلم .

فأمر أصحابه الذين لا طاقة لهم بالصبر على التنكيل ،

ولم يكن لهم من يمنع عنهم العذاب ، بالهجرة وان يخرجوا الى الحبشة ، ذلك المكان البعيد عن قريش ، وأمر جعفر بن ابي طالب ان يخرج بهم ... فخرجوا ..

فتكامل عددهم عند النجاشي . « ثلاث وثمانون رجلا وثماني عشر امرأة » (١) .

وتسامعت قريش بهذا النبأ وهي التي كانت تحول دون من يقبل الى مكة وتصده ان يسمع شيئاً من الدعاة «الصباة» فهل تترك هؤلاء « المستضعفين » يفلتون من وطأة العذاب ويلجأون الى ملك الحبشة ليعيشوا في سلامة وأمان وينشروا هناك دعوتهم الاسلامية ويعودوا بعد حين الى مكة وهم قد عز جانبهم وقويت شوكتهم ؟!

كلا . « فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ، ومعه عمارة بن الوليد بن المغيرة الذي ارادت قريش دفعه الى ابي طالب ليكون بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قتلوه . » (٢)

---

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٧٥ .

(٢) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٧٦ .

وارسلت معهما الهدايا الى النجاشي وطلبت منهما ان يعلماه بان هؤلاء يخالفونهم . « ليرد من جاء اليه من المسلمين . » (١)

فلما دخلا على النجاشي : « سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله » (٢)

وقالا : « سفهاء من قومنا خرجوا عن ديننا وضللوا امواتنا وعابوا آلهتنا وان تركتهم ورأيهم لم نأمن ان يفسدوا دينك . » (٣)

« ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قريش لتردوهم اليهم . » (٤)

فارسل النجاشي على جعفر بن ابي طالب وأصحابه فحضروا .. فصاح جعفر مستأذنا وقال : جعفر بالباب

---

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٧٦

(٢) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٧٦

(٣) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٣

(٤) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٧٦

يستأذن ومعه حزب الله . » (١)

وأجاب النجاشي « نعم بأمان الله وذمته . » فدخلوا وسلموا عليهم فقال عمرو للنجاشي . « الا ترى ايها الملك انهم مستكبرون لم يحييوك بتحيتك ؟ ! ! .

فقال النجاشي : ما منعكم ان لا تسجدوا وتحيوني بتحيتي التي احيا بها ؟

فقال جعفر : انا لا نسجد الا لله عز وجل .

قال : لم ذلك ؟

قال : لان الله تعالى ارسل فينا رسولا وأمرنا ان لا نسجد الا لله عز وجل واخبرنا ان تحية اهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحي به بعضنا بعضاً . »

قال النجاشي : « يا جعفر ان هؤلاء يسألوني ان اردكم اليهم .

فقال : ايها الملك سلهم انحن عبيد لهم ؟ !

قال عمرو : لا بل احرار كرام .

قال : فسئلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها ؟ !

---

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٧٦

قال : لا مالنا عليهم ديون .

قال : أفلهم في اعناقنا دماء يطالبوننا بذحولها ؟

قال عمرو : لا مالنا في اعناقهم دماء ولا نطالبهم بذحول .

قال : فما تريدون منا ؟

قال عمرو : خالفونا في ديننا ودين آبائنا وسبوا آلهتنا وافسدوا شبابنا وفرقوا جماعتنا ، فردهم الينا ليجتمع امرنا .

فقال جعفر : ايها الملك خالفناهم لنبي بعثه الله فينا ، امرنا بخلع الانداد وترك الاستقسام بالازلام ، وامرنا بالصلاة والزكاة وحرم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حلها ، والزنا والربا والميتة والدم ، وامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، قال النجاشي : بهذا بعث الله عيسى بن مريم » (١)

« قال عمرو بن العاص للنجاشي : فانهم يخالفونك في ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله جل وعلا . (وفي خبر ذكره اليعقوبي في تاريخه ان عمرو قال : انهم يزعمون ان المسيح عبد مملوك فاوحشه ذلك فقال لجعفر ماتقول وما يقول صاحبكم

---

(١) اعلام الورى ص٢٩

في المسيح ·) قال : نقول كما قال الله عز وجل : روح الله وكلمته القاها الى مريم العذراء ·

قال النجاشي لمن عنده من القسيسين والرهبان : انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى ، هل تجدون بين يوم القيامة نبيا مرسلا ؟

فقالوا : اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال : من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي . فعند ذلك قال النجاشي : والله لولا ما انا فيه من الملك لاتيته فاكون انا الذي احمل نعله واوضئه ·

وقال للمسلمين : انزلوا حيث شئتم سيوم بارضي ، وامر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال : من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني · وامر بهدية عمرو ورفيقه فردت عليهما » (١) ·

وذهبت محاولة المشركين هذه عبثا ولم تعد عليهم الا بالخسران المبين ، وعلى المسلمين العاملين الا بالنصر والظفر ·

---

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص٣٧٧

١١ - المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية مع الدعاة وفرض الحصار عليهم

لم يترك المشركون وسيلة من وسائل الظلم والاذى الا استعملوها وجربوها ضد الدعوة الاسلامية ظناً ومحاولة منهم ان هذه الوسائل توقف زحفها وتعرقل مسيرتها ، وما علموا ان الاضطهاد وغيره من انواع الظلم ، انما يبلور العمل ويدفع به الى الامام ، لانه يعمق الشعور بالمسؤولية لدى العاملين بضرورة التخلص من الظلم الماثل وان تخلصهم منه متوقف على اندفاعهم في سبيل تحقيق اهدافهم ومثلهم دون مبالات بما يلاقونه .

ومن جملة العقبات التي وضعوها امام الدعوة الاسلامية ، المقاطعة بكلا نوعيها :

الاقتصادية : فقد حرموا معهم البيع والشراء والاخذ والعطاء .. الخ .

والاجتماعية : فقد حرموا معهم الكلام والاجتماع والزواج

عليهم والتزوج منهم . . الخ .

وحصروهم بذلك في مكان مقفر بين الجبال كي لايتسنى لهم الاجتماع باحد من الناس وحذروا من الوصول اليهم أو صلتهم بشيء من الاموال او الطعام ! ! !

ذكر المؤرخون : « لما قدم عمرو بن العاص من عند النجاشي خائباً ، وردت معه هديتهم ، وفقد صاحبه الذي هو عمارة بن الوليد (١)

وبلغهم اكرام النجاشي لجعفر ومن معه من المسلمين ، وظهور الاسلام في القبائل ، كبر ذلك عليهم واشتد اذاهم

---

(١) وسبب فقده : انه كان عمارة فتى جميلا وكان عمرو بن العاص قد صحب معه زوجته فلما ركبوا السفينة في طريقهم الى النجاشي شربوا الخمر . فقال عمارة لعمرو : قل لزوجتك تقبلني . فأبى عمرو . فألقاه عمارة في البحر . ولكن عمرو نجا من الغرق واضمر لصاحبه الحقد وعزم على الانتقام منه . فلما دخلا على النجاشي وجرى ماجرى لهم معه من الحديث ، كانت عنده جارية فنظرت الى عمارة فاحبته فلما رجعا الى المنزل قال عمرو لعمارة : لو راسلت جارية الملك *

على المسلمين واجتمع رايهم على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم علانية » (١)

ولكنهم خشوا ابا طالب « فاجتمعوا في دار الندوة ، وكتبوا بينهم صحيفة ، ان لا يواكلوا بني هاشم ، ولا يكلمونهم ، ولا يبايعونهم ، ولا يزوجوهم ، ولا يتزوجوا اليهم ، ولا يحضروا معهم ، حتى يدفعوه اليهم ليقتلوه» وانهم

---

* فراسلها فاجابته فقال لعمرو قد اجابتني قال : قل لها تحمل اليك من طيب الملك شيئاً فقال لها فحملت اليه منه فاخذ عمرو ذلك الطيب وادخله على النجاشي وقال له : ايها الملك ان من حرمة الملك وحقه علينا واكرامه ايانا اذ ادخلنا بلاده الا نغشه . وان صاحبي هذا قد راسل جاريتك وخدعها وبعثت اليه من طيبك فعرض عليه طيبه فغضب غضباً شديداً وهم ان يقتل عمارة ثم قال : لا يجوز قتله لانهم في بلادي بامان فدعا بالسحرة وقال : اعملوا به شيئاً يكون اشد من القتل فاخذوه ونفخوا في احليله شيئاً من الزئبق فصار مع الوحش حتى مات .

---

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص ٣٧٥

يد واحدة على محمد (ص) ليقتلوه غيلة او صراحاً » (١)

« وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وختموا على الصحيفة بثمانين خاتما » (٢)

« وعلقوها في جوف الكعبة » (٣)

« ثم حصرت قريش رسول الله واهل بيته من بني هاشم وبني عبد المطلب بن عبد مناف في الشعب » (٤)

« فجمع ابو طالب بني هاشم وبني عبد المطلب في شعبه وكانوا اربعين رجلا مؤمنهم وكافرهم ماخلا ابا لهب وابا سفيان فظاهراهم عليه، فحلف ابو طالب لئن شاكت محمدا شوكة لآتين عليكم يابني هاشم، وحصن الشعب وكان يحرسه بالليل والنهار وفى ذلك يقول :

الم تعلموا انا وجدنا محمـدا

نبياً كموسى خط في اول الكتب

---

(١) اعلام الورى ص ٣٣

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٥

(٣) مناقب ابن شهر اشوب ج١ ص٦٠

(٤) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٥

اليس ابونا هاشم شد ازره

واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

وان الذي علقتم من كتابكم

يكون لكم يوما كراعية السقب

افيقوا افيقوا قبل ان يحفر الثرى

ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب (١)

ووضعت قريش الرقباء لمنع ايصال الطعام اليهم من داخل مكة او خارجها و « كان من دخل من العرب مكة لا يجرؤ ان يبيع من بني هاشم شيئاً او من باع منهم شيئاً انتهبوا ماله . وكان ابو جهل والنضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن ابي معيط يخرجون الى الطرقات التي تدخل مكة فمن رأوا معه ميرة نهوه ان يبيع من بني هاشم شيئاً ويحذرونه ان ينهبوا ماله » (٢) ومكثوا على حالتهم تلك .

« حتى جهد القوم جهدا شديدا لا يصل اليهم شيء الا سرا ومستخفى به ممن اراد صلتهم من قريش حتى روي

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب ج١ ص٦٣

(٢) اعلام الورى ص٣٣

ان حكيم بن حزام خرج يوماً ومعه أثان بحمل طعاماً الى عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب اذ اقيه ابو جهل فقال : تذهب بالطعام الى بني هاشم ؟ والله لاتبرح انت ولا طعامك حتى افضحك عند قريش .

فقال له ابو البختري بن هشام بن الحارث : تمنعه ان يرسل الى عمته بطعام كان لها عنده ؟

فابى ابو جهل ان يدعه . فقام اليه ابو البختري بساق بعير فشجه ووطئه وطئا شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون ان يبلغ ذلك رسول الله واصحابه فيشمتوا بهم » (١)

فاقام صلى الله عليه وآله ومن معه في الشعب « ثلاث سنين حتى انفق رسول الله (ص) جميع ماله ، وانفق ابو طالب جميع ماله ، وانفقت خديجـــة بنت خويلد مالها وصاروا الى حد الضر والفاقة . ثم نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليـه وآله ؛ فقال ان الله بعث الارضة على صحيفة قريش

---

(١) البحار ج ١٩ ص ١٩ الطبعة الحديثة

فأكلت كل مافيها من قطيعة وظلم الا المواضع التي ذكر الله فيها .

فخبر رسول الله (ص) ابا طالب بـذلك . ثم خرج ابو طالب ومعه رسول الله واهل بيته حتى صار الى الكعبة فجلس بفنائها ، واقبلت قريش من كل اوب فقالوا : قد آن لك يا ابا طالب ان تذكر العهد وان تشتاق الى قومك وتدع اللجاج في ابن اخيك .

فقال لهم : ياقوم احضروا صحيفتكم فلعلنا ان نجد فرجا وسببا لصلة الارحام وترك القطيعة . واحضروهـا وهي بخواتيمهم .

فقال : هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها ؟

قالوا : نعم .

قال : فهل احدثتم فيها حدثا ؟

قالوا : اللهم لا .

قال : فان محمدا اعلمني عن ربه انه بعث الارضة فاكلت كلما فيها الا ذكر الله افرأيتم ان كان صادقا ماذا تصنعون ؟

قالوا : نكف ونمسك .

قال : فان كان كاذبا دفعته اليكم تقتلونه ! ! !

قالوا : قد انصفت واجملت وفضت الصحيفة فاذا

الارضة قد اكلت مافيها الا مواضع بسم الله عز وجل .

فقالوا : ما هذا الا سحر !! وما كنا قط اجد في تكذيبه منا ساعتنا هذه وأسلم يومئذ خلق من الناس عظيم . وخرج بنو هاشم من الشعب وبنو عبد المطلب فلم يرجعوا اليه . » (١)

انظروا الى هذا الضغط الشـــديد على الدعاة المسلمين والاضطهاد لهم ومحاربتهم في ارزاقهم ومقاطعتهم اقتصاديا واجتماعيا ، كيف عاد على الـدعاة الى الاسلام بالخير العميم والنفع الجسيم فقـد اسلم خلق كثير وانضموا الى صفوف الدعاة وكثر عددهم فان هذا يعطينا الدليل الواضح على ان الظلم والتعسف وانواع الاضطهاد التي تحل بساحة المسلمين العاملين انما هي في صالحهم وصالح مبـــدئهم لأنهم بذلك يكسبون عطف الامة والعناية من قبلها بهم وبافكارهم بالاضافة الى ما يعد الله تعالى لهم من منازل رفيعة ودرجات عالية لأنهم انما يتحملون ذلك في سبيله ولاجل نشر دينه .

ثم ان العذاب الذي يتعرضون له لابـد ان يكون له

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٥ .

حد وتكون له نهاية فينجي الله سبحانه الدعاة اليه من كيد الاعداء وبطشهم وينتقم لهم منهم اشد الانتقام وما الله بغافل عما يعملون .

وقد تعرض المسلمون مرة اخرى الى حرب اقتصادية والى حصار اقتصادي آخر كان من اليهود وذلك بعد الهجرة الى المدينة وضع اليهود خطة - بالرغم من العهود التي قطعوها للنبي (ص) على عدم التآمر على المسلمين - لحصار اقتصادي يفرضونه على المسلمين وهم فى اشد الحاجة الى الاموال لان اموالهم تركوها فى مكة وهاجروا بأنفسهم وكان هـذا الحصار يتضمن :

أ - امتناع اليهود عن دفع ما بذمتهم من اموال (ديون وامانات) لمن اعتنق الاسلام بحجة ان ما كان لهم من حق انما كان لهم قبل الاسلام وان دخولهم فى هذا الدين قد ابطل حقهم في اموالهم .

ب - امتناع اليهود ورفضهم إمداد المسلمين بالأموال عن طريق القرض اذا حاول المسلمون ذلك .

وبدؤا بتنفيذ هذا المخطط المتآمر . والى الحالة الاولى

يشير القرآن الكريم بقوله :

« ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (١)

والى الحالة الثانية يشير القرآن الكريم بقوله - بعد ان جاء المسلمون يستقرضون من اليهود وردهم اليهود بقولهم : احتاج ربكم ان نمده ؟ !

« لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق » (٢)

١٢ - الاستهانة بالدعوة والدعاة

المجتمعات المتأخرة تتكون عندها مقاييس خاطئة وقد تكون معكوسة تماما .

فهي تبني نظرتها الى الاشخاص على امور مادية بحتة

---

(١) سورة آل عمران آية (٧٥) .

(٢) سورة آل عمران آية (١٨)

فالشخصية العظيمة هي الشخصية التي تملك الاموال وتسيطر على الزمام وان كانت غارقة الى ذقنها في الجهل والبلاهة، ومنغمسة في بحر من الموبقات والمنكرات .

وعلى هذا الاساس فليس للايثار والتضحية والتفاني في سبيل المصلحة العامة والسهر على طلب العلم واكتساب صفات الكمال على اختلاف انواعها مكاناً محترماً في مثل هذا المجتمع فيحترم الخامل والكاذب والسارق والمنافق والجاهل، ويهان ويحتقر العامل والصادق والامين والصريح والعالم ومن هنا كانت قريش تنظر الى المسلمين الدعاة نظرة احتقار واستهانة وعدم احترام .

وذكر المؤرخون فقالوا :

« قال الوليد بن المغيرة يوماً : اينزل القرآن على محمد واترك انا وأنا كبير قريش وسيدهم .

ويترك ابو مسعود الثقفي سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين اي مكة والطائف .

فانزل الله تعالى : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمة ربك ؟ الآية . (١)

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٤٧

متى كانت العظمة تأتي لمن يدعيها ؟

وهل هي الرئاسة العارية عن المثل الانسانية ؟

ام هي الجهاد والعمل المتواصل فى سبيل هداية الناس الى الصراط المستقيم والدين القويم ؟ . .

« ان قريشاً بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما : أسألاهم عن محمد ، وصفا لهم صفته ، واخبراهم بقوله ، فانهم اهل الكتاب الاول . فخرجا حتى قدما المدينة وسألا احبار اليهود .

وقالا لهم : اتيناكم لامر حدث فينا ، منا غـلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله ! ! !

قالوا : صفوا لنا صفته . فوصفوا .

قالوا : فمن يتبعه منكم ؟

قالوا : سفلتنا ! !

فضحك نفر منهم وقالوا : هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه اشد الناس له عداوة . » (١)

وذكر المؤرخون ومنهم ابن شهرا شوب فقال :

---

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٤٧ .

« اتى اهل مكة للنبي صلى الله عليه وآله .

فقالوا : ما وجد الله رسولا غيرك ما نرى احداً يصدقك فيما تقول . ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد انك رسول الله كما تزعم ؟ فنزل :

قل اي شيء اكبر شهادة الآية

وقالوا : العجب ان الله تعالى لم يجد رسولا يرسل الى الناس الا يتيم ابي طالب ! فنزل : ألر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس . . الآيات . . » (١)

وهكذا تتوالى الالقاب التي اطلقوها على الرسول صلى الله عليه وآله مثل قولهم « سحركم ابن ابي كبشة » وقولهم « يتيم ابي طالب » وقولهم « مذمم » الخ . كما ذكروا ان :

« نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان كانا على ما كان عليه اصحابهما من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والطعن عليه وكانا يلقيانه فيقولان له : اما وجد الله من يبعثه غيرك ؟ ان هاهنا من هو اسن منك وايسر . » (٢)

---

(١) المناقب جـ ١ ص ٥٠ .

(٢) الكامل لابن الاثير جـ ٢ ص ٤٩ .

وروى الثعلبي باسناده عن عبد الله بن مسعود .

فقال : « مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا :

يا محمد ارضيت بهؤلاء من قومك ؟ ! !

أفنحن نكون تبعاً لهم ؟ ! !

أهؤلاء الذين منّ الله عليهم ؟ ! !

اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فانزل الله تعالى :

« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » .

وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين .

وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية : جاء الاقرع ابن حابس التميمي وعينة بن حصين الفزارى وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين

فحقروهم وقالوا :

يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك حتى نخلوا بك فان وفود العرب تأتيك فنستحي ان يرونا مع هؤلاء الا عبد ! ثم اذا انصرفنا فان شئت فأعدهم الى مجلسك ، فاجابهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى ذلك .

فقالا له : اكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً فدعا بصحيفة واحضر علياً عليه السلام ليكتب ! ! !

قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبرائيل عليه السلام بقوله : ولا تطرد الذين يدعون . . . الى .. اليس الله باعلم بالشاكرين فنحى رســـــول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيفة .

واقبل علينا ودنونا منه وهو يقول : كتب ربكم على نفسه الرحمة . . الخ . . » (١)

ان هؤلاء المستضعفين المحقرين من قبل المشركين (ذوي العنت والعناد وذوي الكبرياء والخيلاء) هم الذين انتصروا

---

(١) مجمع البيان م ٤ ص ٣٠٥، ص ٣٠٦ .

وهم الذين سادوا العالم وحققوا للانسانية كل خير وسعادة وذلك بفضل الدعوة الاسلامية التي آمنوا بها وضحوا من اجلها وبذلوا في سبيلها وصمدوا ثابتين - دون ان يتزلزلوا - على مبادئها وخلدوا لهم ذكراً عطراً يضوع نشره الفياح على الدنيا كلها .

١٣ - التحدي للدعاة

لما رأى المشركون ان كل هذه العقبات لاتوصلهم الى اهدافهم ، ولا تمكنهم من تأخير تقدم الدعوة والدعاة ، وان اتباع الدعوة في ازدياد مستمر وتوسع مطرد ، اخذوا يتحدون الدعاة بان يخرقوا لهم ظواهر الطبيعة ، ويأتوهم بما ليس بمقدور سائر البشر ، لا ليعرفوا بذلك صحة الدعوة وصدق الدعاه بل تحدياً منهم وعنادا واصراراً وامعاناً على باطلهم وضلالهم .

قال تعالى : « ولو اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك » (١) وروي ان جماعة من اليهود منهم

(١) سورة البقرة آية (١٤٥)

« كعب بن الاشرف ومالك بن الصيفي ووهب بن يهودا وفنحاص بن عازورا .

قالوا : يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عهد الينا في التوراة ان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، فان زعمت ان الله بعثك الينا فجئنا به نصدقك . فانزل الله هذه الآية » (١) « الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاء كم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين » (٢)

وجاء جماعة من قريش الى النبي صلى الله عليه وآله فيهم عتبة بن ربيعة وشيبة اخوه وابو سفيان بن حرب وابو جهل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والاسود بن المطلب ، والنضر ابن الحارث وغيرهم .

فقالوا : يامحمد .. « ليس احـد اضيق بلدا منا فاسأل ربك ان يسير هذه الجبال ، ويجري لنا انهارا كانهار الشام

---

(١) مجمع البيان م ٢ ص ٥٤٩

(٢) سورة آل عمران آية (١٨٣)

والعراق ، وان يبعث لنا من مضى . . لنسألهم عما تقول احق ام باطل ؟ ! !

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما بهذا بعثت .

قالوا : فان لم تفعل ذلك فاسأل ربك ان يبعث ملكا يصدقك ويجعل لنا جنات وكنوزا وقصورا من ذهب .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : مابهذا بعثت وقد جئتكم بما بعثني الله به فان قبلتم والا فهو يحكم بيني وبينكم .

قالوا : فاسقط علينا السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك .

قال : ذاك الى الله ان شاء فعل .

وقال قائل منهم : لانؤمن حتى تاتي بالله والملائكة قبيلا .

فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقام معه عبد الله ابن ابي امية المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب .

فقال : يامحمد عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله ، ثم سألوك لانفسهم امورا فلم تفعل ، ثم سألوك ان تجعل ماتخوفهم به فلم تفعل ، فوالله لا اومن بك ابدا حتى تتخذ سلما الى السماء ثم ترقى فيه وانا انظر ويأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك وقال ابو جهل : انه

ابي الا سب الالهة وشتم الآباء وانا اعاهد الله لاحملن حجرا فاذا سجد ضربت به رأسه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزينا لما رأى من قومه فانزل الله سبحانه الآيات » (١)

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا » (٢)

لم يكن هذا الطلب ناجماً عن زيادة التأكد والاطمئنان على صدق دعوة الداعية صلى الله عليه وآله ، ولكنه كان عن عناد واصرار وتحد ، ولو انه (ص) استجاب لمطاليبهم وسأل ربه ان يمكنه من كل ما طلبوه لما ازدادوا الا عتواً ونفوراً واستكباراً .

---

(١) مجمع البيان م٦ ص٤٤٠

(٢) سورة الاسراء الاية (٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣)

ولو كانوا صادقين ومخلصين وجادين لامنوا كما امن غيرهم ولاكتفوا بما أتى به صلى الله عليه وآله من معاجز وبراهين وأدلة قاطعة على صحة دعوته وهذا القرآن الذي عجزوا عن مجاراته حتى قالوا عنه « سحر » لاكبر معجزة له ولاقوى دليل على نبوته ولكن المشركين في غيهم يعمهون .

١٤ ـ التهديد والتحريض على قتل الدعاة

آمنت النفوس الكبيرة بالاسلام واخذت على عاتقها دعوة الناس اليه فتسامت على كل ما يقف فى طريقها من العقبات ، واستخفت بمكر المشركين واستفزازهم وتهديدهم

وكانت الآيات القرآنية تنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فتكشف تآمرهم ومخططاتهم قال تعالى :

« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكر الله والله خير الماكرين . » (١)

« وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها

---

(١) سورة الانفال آية (٣٠) .

واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا .» (١)

« وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون . » (٢)

« انطلق ذووا الطول والشرف من قريش الى دار الندوة ليرتأوا او يأتمروا في رسول الله صلى الله عليه وآله. وامروا ذلك بينهم .

فقال بعضهم : نبني له علماً ونترك فرجاً نستودعه فيه فلا يخلص من الصباة فيه اليه احد ولا نزال في رفق من العيش حتى يتضيفه ريب المنون ...

فقال قائل : كلا ما هذا لكم براي ولئن صنعتم ذلك ليتنمرن له الحدب الحميم والمولى الحليف ثم ليأتين المواسم والاشهر الحرم بالامن فلينتزعن من انشوطتكم . قولوا قولكم . فقال عتبة وشيبة واشركهما ابو سفيان .

فقالوا : فانا نرى ان نرحل بعيراً صعباً ونوثق محمداً عليه كتافا ثم نقطع البعير باطراف الرماح فيوشك ان يقطعه بين الدكادك اربا اربا .

---

(١) سورة الاسراء آية (٧٦) .

(٢) سورة القلم آية (٥١) .

فقال صاحب رأيهم : انكم لم تصنعوا بقولكم هذا شيئاً ارأيتم ان خلص به البعير سالماً الى بعض الافاريق فاخـذ بقلوبهم بسحره وبيانه وطلاقـــة لسانه ، فصبأ القوم اليه واستجابت القبائل له قبيلة فقبيلة فليسيرن حينئذ اليكم الكتائب والمقانب فلتهلكن كما هلكت اياد ومن كان قبلكم . قولوا قولكم .

فقال ابو جهل : لكن ارى لكم ان تعمدوا الى قبائلكم العشرة فتنتدبوا من كل قبيلة منها رجلا نجـدا ثم تسلموه حساماً عضباً وتمهد الفتية حتى اذا غسق الليل وغور بيتوا بابن ابي كبشة بياتاً فيذهب دمه في قبائل قريش جميعا ، فلا يستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة قبائل قريش في صاحبهم فيرضون حينئذ بالعقل منهم .

فقال صاحب رأيهم : اصبت يا ابا الحكم . ثم اقبـل عليهم .

فقال : هذا الرأي فلا تعدلن به رأيا . واوكئوا فى ذلك افواهكم حتى يستتب امركم . » (١)

---

(١) البحار جـ ١٩ الطبعة الحديثة ص٥٩ .

ولقد خيب الله كيدهم ونصر نبيه عليهم بالهجرة ومبيت الامام امير المؤمنين (ع) فى فراشه ووقايته له بنفسه .

١٥ـ افشاء اسرار الدعوة والدعاة وعدم التكتم بها

من المعلوم ان الدعـوة الاسلامية مرت بمرحلة سرية واتخـذت طابعاً سرياً لاجـل الحفاظ على الاشخاص وعلى الاعمـال التي يمارسونهـا اثناء عملهم الاسلامي وكسب الناس للدعوة . كما المحنا الى ذلك سابقاً .

ولكن المشركين الذين وصلتهم الدعوة بعد ان ظنت فيهم خيرا وحاولت ان تدخل الى اذهانهم اتخذوا تلك الاسرار التي ظهرت لهم منها ذريعة ووسيلة لمحاربتها بكشفها ونشرها بين الخاص والعام والتشهير بالدعوة والدعاة ، بعد ان رفضوا الانظمام الى صفوف المسلمين العاملين .وابو ان يكونوا في تعداد الدعاة المجاهدين ورضوا بان يعيشوا في مجتمع جاهلي ، فقد ورد ان النبي صلى الله عليه وآله لما جاء الى ثقيف بالطائف

ليدعوهم الى الاسلام او يجد فيهم منعة فوجد ثلاثة نفر اخوة هم يومئذ سادة ثقيف وهم « عبد ياليل بن عمر ، وحبيب ابن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه وشكا اليهم الملأ .

فقال احدهم : انه يسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك .

وقال الآخر : اعجز على الله ان يرسل غيرك ؟

وقال الآخر : والله لا اكلمك ابدا . لئن كنت رسولا كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ماينبغي لي ان اكلمك وتهزوا به وافشوا في قومهم ماقالوه » (١)

وكان صلى الله عليه وآله قد طلب منهم ان يكتموا عليه هذا الامر وقال لهم :

« اكتموه علي وكره صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه ذلك فيشتد امرهم عليه » (٢)

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص ٢٩

(٢) السيرة الحلبية جـ١ ص٣٩٢

١٦ ـ اثارة النعرات الجاهلية والاحقاد القديمة والفتن الدفينة

التي كانت مثار عـداوة وحروب بين المسلمين قبل اسلامهم وخاصة بين الاوس والخزرج وكان ابطال هـذا الاسلوب الماكر هم اليهود لانهم يجيدون اساليب التفرقة وزرع بذور الانشقاق بشكل لم يصل اليه غيرهم حتى يومنا هذا

فقد ذكر ابن اسحاق وغيره من ارباب السير : ان شاس ابن قيس اليهودي الشديد الطعن عـلى الاسلام والمسلمين ـ مر على نفر من الاوس والخزرج بعد ان نزع الاسلام مابينهم من احقاد وضغائن كانت قائمة فيما بينهم من قبل فغاظه مارأى من التفاهم والالفة وصلاح ذات بينهم فجلس اليهم واخذ يحاورهم ويستدرجهم شيئاً فشيئاً الى احداث الماضي المشحون بالعداوة والخصومة واخذ ينشدهم بعض ماقيل فى حروبهم من الشعر فحرك من وجدانهم وهاج من عصبيتهم ، وما زال بهم حتى تنادوا فـيما بينهم : السلاح ، السلاح ،

وكاد يقع الصدام فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه واله فخرج اليهم مخاطباً اياهم : أبدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان هداكم الله للاسلام واكرمكم به واستنقذكم من الكفر والف بين قلوبكم ؟ ! فعرف القوم عنـدئذ انها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مـع رسول الله سامعين مطيعين قد اطفأ الله عنهم كيد عدو المسلمين شاس بن قيس وفي ذلك : نزل قوله تعالى : « قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما يعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

وهكذا فشلت هذه المحاولة الاثيمة ولكن - ويا للاسف الشديد - ان امثال هذه المحاولة اليوم والتي يقوم بها اعداء المسلمين في هذا العصر قد لاقت نجاحاً في صفوف المسلمين فتركوا الاسلام الذي الف بين قلوبهم وعادوا الى عصبيتهم

---

(١) سورة آل عمران آية (٩٩) (١٠١)

الجاهلية يتنادون باسمها ، ويالله للمسلمين من ورطتهم هذه ! !
فاين رسول الله صلى الله عليه وآله ليخاطب مسلمي هذا اليوم
كما خاطب اولئك المسلمين بقوله : « أبدعوى الجاهلية وانا
بين اظهركم ؟ » اين من يقول للمسلمين اليوم أبدعوى
الجاهلية والقرآن وتعاليم محمد (ص) بين اظهركم ؟ ! !

١٧ ـ الانتماء الى الدعوة ثم تركها لسحب الدعاة منها

الانتماء الى الدعوة والانظمام الى صفوف الدعاة واظهار الايمان في اول النهار واعلان الكفر آخره كمحاولة لبيان ان لو كان الاسلام دين حق لما رجعنا عنه الى وضعنا السابق ولكن ظهر لنا ـ بزعمهم ـ انه دين باطل لايستحق من الانسان ان يتمسك به ويعتنق مبادئه ويطبقها عملياً في حياته .

وطبيعة الانسان انه اذا اقتنع بامر لايتركه الى غيره ، وقد قام بهذه الحيلة اليهود كما عبر عنهم القرآن الكريم : « وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا

آخره لعلهم يرجعون » (١) وجاء في تفسيرها : « تواطأ اثنا عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلى الله عليه وآله ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينه ، وقالوا : انهم اهل الكتاب وهم اعلم به منا فيرجعون عن دينهم الى دينكم » (٢) فاليهود حاولوا بذلك خداع المسلمين وصدهم عن الاسلام بهذه الطريقة الماكرة وذلك ان الانسان يتأثر بغيره فاذا راى المسلمون ان جماعة من اليهود اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام هان عليهم الرجوع من الاسلام وقد ادرك هـــذه الحقيقة ملك الروم هرقل حيث سأل ابا سفيان لما شكا اليه ظهور محمـد (ص) بالدعوة وتسفيهه آلهتهم فقال له : هل يرجع عن الاسلام من دخل فيه فقال ابو سفيان : لا ، وهكذا فقد افتضح امر اليهود وانكشف تآمرهم .

---

(١) سورة آل عمران آية (٧٢)

(٢) تفسير مجمع البيان جـ٢ ص ٤٦٠ ط ايران

١٨ ـ التجسس على الدعاة

﴿ للاطلاع على اسرارهم والاندساس بين صفوفهم لاستراق ﴾

﴿ انبائهم واخبارهم ، ليسهل التآمر عليهم ﴾

وكان اليهود هم اكثر من غيرهم خبرة ومهارة بهذه العملية الدنيئة لان اليهود جبناء (١) وهم لا يقوون على مقابلة المسلمين وجها لوجه لذا انطوى منهم جماعة للقيام بمهمة التجسس فاظهروا الاسلام وابطنوا الكفر به ليتخذوه وسيلة للوصول الى اغراضهم ولنقل اخبار الدعاة المسلمين وما يريدون القيام به من اعمال الى المشركين الذين حالفهم اليهود على عداء المسلمين . وقد نزل الوحي ينهى عن الاتصال باليهود والركون اليهم والوثوق بهم فقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون » (٢)

(١) انظر كتاب نحن واليهود ـ المؤلف ـ موضوع : اليهود جبناء

(٢) سورة آل عمران آية (١١٨)

وقد جاء في تفسيرها : ان الله نهى المؤمنين عن مولاة الكفار ومخالطتهم « اي لا تتخذوا الكافرين خواص من دون المؤمنين تفشون اليهم اسراركم لا يألونكم خبالا اي لا يقصرون فيما يؤدي الى افساد امركم ولا يدعون جهدهم في مضرتكم » (١) اذ قال تعالى بعدها : « واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » (٢) معبراً عن حقدهم وقصدهم السيء من هذا الاختلاط المريب .

١٩ ـ التعذيب على اختلاف انواعه

﴿ كالشتم ونهب الاموال والسجن والضرب وامثالها ﴾

لحساب من يتحمل الدعاة كل انواع التعذيب ؟ !

وفي سبيل من يوطنون انفسهم لملاقات كل هذه المحن ؟ !

اليس في سبيل الله تعالى ؟

---

(١) تفسير مجمع البيان جـ٢ ص٤٩٢

(٢) سورة آل عمران آية (١١٩)

ومن اجل الدعوة الاسلامية التي آمنوا بها ، والتي اوجبت عليهم - فيما اوجبته - دعوة الناس كافة الى الايمان بها واتباعها .

فلم يكونوا ليأخـــذوا الاسلام ، ويؤمنوا بدعوته ، دون ان يدعوا الناس اليه ، ويريحوا انفسهم من متاعب الدعوة وما تجره على الدعاة من محن .

فما بال مسلمي هذا العصر -والمتدينون منهم على الاخص- رضوا بان يلتزموا هم بالاسلام دون ان يدعوا الناس اليه ان صح هذا التعبير لأن الالتزام بالاسلام معناه القيام بمهمة الدعوة اليه . اذ هي جزء مهم منه ،

قال تعالى :

« ادع الى سبيل ربك » (١)

« وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم . » (٢)

« فلذلك فادع واستقم كما امرت » (٣)

---

(١) سورة النحل آية (١٢٥)

(٢) سورة الحج آية (٦٧)

(٣) سورة الشورى آية (١٥)

« وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين » (١)

لكن مسلمي اليوم رفضوا القيام بهذا الواجب العظيم ارضاء لشهواتهم وتأمينا لانفسهم لكي لا يتعرضوا الى طائلة المحنة التي مر بها الدعاة المسلمون الاولون . فكانت بهذا اموالهم ، وانفسهم اعز عليهم من الاسلام الذي يدعون انهم يؤمنون به .

قال تعالى :

« قل ان كان آباؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين . » (٢)

اما المسلمون الاولون فقد كان الاسلام اعز واحب اليهم من اموالهم ومن انفسهم ومن كل شيء لذا ، فدوه بالاموال والاولاد والانفس فكان كل واحد منهم يهتف ويقول بلسان حاله اموت ليحيا الاسلام .

---

(١) سورة القصص آية (٨٧) .

(٢) سورة التوبة آية (٢٤) .

فصبروا انفسهم على المحنة وخرجوا ظافرين منتصرين ولم يكن معهم الا سلاح الايمان بالدعوة الاسلامية وبعـــدالة قضيتها وسلاح الصبر على تحمل جميع الآلام في سبيل الاسلام

قال تعالى :

« لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور . » (١)

لقد صبر المسلمون على شدة المحنة وعزموا على ملاقات كل شيء حتى الموت ف سبيل الله تعالى : فكان

« ممن فتن عن دينه وثبت عليه ولم يرجع للكفر بلال رضى الله تعالى عنه وكان مملوكا لامية بن خلف فمن بعضهم ان بلالا كان يحمل في عنقه حبل يدفع الى الصبيان يلعبون به ويطوفون به ف شعاب مكة وهو يقول : احد احد وقد اثر الحبل في عنقه .

وعن ابن اسحاق : ان امية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه يوما وليلة

---

(١) سورة آل عمران آية (١٨٦) .

فيطرحه على ظهره فى الرمضاء ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول : احـــد . احد . » (١)

ولهذه الشخصية الاسلامية امثال كثيرة في صدر الاسلام فهذا خباب بن الارت الذي « سبى فى الجاهلية فاشترته ام أنمار وكان قينا اي حدادا وكان صلى الله عليه وسلم يألفه ويأتيه فلما اسلم واخبرت بذلك مولاته صارت تأخذ الحديدة وقد احمتها بالنار فتضعها على رأسه . فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : اللهم انصر خبابا .

فاشتكت مولاته راسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوى فكان خباب يأخذ الحديدة وقد احماها فيكوي رأسها . » (٢)

وهذا ابو ذر الغفاري عندما اعلن اسلامه وجهر بالشهادة

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ص ٣٣٤ .

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٦

والتوحيد امام الملأ من قريش نراه يتحمل الضرب الشديد وهو يرى ذلك قليل في ذات الله قال الاميني في كتاب الغدير :

« اخرج ابو نعيم في الحلية ١ : ١٥٨ من طريق ابن عباس عن ابي ذر قال :

اقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فعلمني الاسلام وقرأت من القرآن شيئاً .

فقلت : يا رسول الله اني اريد ان اظهر ديني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني اخاف عليك ان تقتل .

قلت : لا بد منه وان قتلت ! ! !

قال : فسكت عني فجئت وقريش حلق يتحدثون في المسجد .

فقلت : اشهد ان لا إله الا الله ، وان محمداً رسول الله فانتفضت الحلق فقاموا فضربوني حتى تركوني كأني نصب احمر وكانوا يرون انهم قد قتلوني . فافقت فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ما بي من الحال .

فقال لي : ألم انهك ؟

فقلت : يا رسول الله كانت حاجة في نفسي فقضيتها فاقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : الحق بقومك فاذا بلغك ظهوري فأتني .» (١)

وهؤلاء آل ياسر انقض عليهم بنو مخزوم يـــذيقونهم الوان العذاب ليردوهم عن دينهم حتى قضوا اياماً طوالا في عذاب مقيم فكان يمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله فيناله من ذلك هم عظيم ولكنه كان يمدهم بالصبر وانتظار الجزاء من الله تعالى : صبرا آل ياسر ابشروا فان موعدكم الجنة .

« كان ابو جهل يعذب عمار بن ياسر واباه وامه ويجعل لعمار درعا من حديد في اليوم الصائف فنزل قوله تعالى « احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وجاء ان عمار بن ياسر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : صبراً ابا اليقظان ثم

---

(١) الغدير جـ٨ ص٣١٠ ط ثانية

قال : اللهم لا تعذب احداً من آل عمار بالنار » (١)

وهذا صهيب لما اراد الهجرة الى المدينة ، قال له كفار قريش : اتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد ان تخرج بمالك ، لا والله لا يكون ذلك !!

فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالي اتخلون سبيلي ؟

قالوا : نعم

قال : فاني جعلته لكم . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : « ربح صهيب » (٢)

وهذا عبد الله بن جحش الذي اسلم قبل ان يدخل النبي صلى الله عليه وآله دار الارقم ، وهاجر الى الحبشة ثم هاجر مع سائر افراد عشيرته واهل بيته الى المدينة بامر رسول الله صلى الله عليه وآله وبقيت داره في مكة « وعدا ابو سفيان على دار بني جحش فباعها فذكر عبد الله ذلك لرسول

---

(١) السيرة الحلبية ج١ ص٣٣٧

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٥

الله صلى الله عايه وسلم .

فقال له : الا ترضى - ياعبد الله - ان يعطيك الله بها دارا خيرا منها في الجنة ؟

قال : بلى .

قال : « فذلك لك » (١)

لم يكتف هذا الداعية المسلم بهذه التضحية بل يقف ليلة احد يدعو الله بهـذا الدعاء المستجاب ويقول : « اللهم ارزقني غـدا رجلا شديداً بأسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ويأخذني فيجدع انفي واذني فاذا لقيتك وقلت : ياعبد الله فيم جـدع انفك واذنك فاقول : فيك وفي رسولك » (٢)

وقد استجاب الله دعوته وقد وفى لله في طلبه فقتل يوم احد ودفن مع حمزة سيد الشهداء بعد ان جدع الاعداء انفه وقطعوا اذنه .

اما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد « جدت قريش

---

(١) شهداء الاسلام ص٣١

(٢) شهداء الاسلام ص٣٤

في اذاه ، وكان اشد الناس عليه عمه ابو لهب وكان رسول الله ذات يوم جالساً في الحجر فبعثوا الى سلا الشاة فألقوه على رسول الله صلى الله عليه وآله فاغتم من ذلك » (١)

« وروى علي بن ابراهيم بن هاشم باسناده قال : كان ابو جهل تعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وآذاه بالكلام ، واجتمعت بنو هاشم فاقبل حمزة وكان في الصيد فنظر الى اجتماع الناس فقال : ماهذا ؟

فقالت له امرأة من بعض السطوح : يا ابا يعلى ان عمرو بن هشام تعرض لمحمد وآذاه . فغضب حمزة ومر نحو ابي جهل واخذ قوسه فضرب بها راسه ثم احتمله فجلد به الارض واجتمع الناس وكاد يقع فيهم شر .

فقالوا له : يا ابا يعلى صبوت الى دين ابن اخيك .

قال : نعم اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله - على جهة الغضب والحمية - فلما رجع الى منزله ندم فغدا على رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال : يا ابن اخ احقاً ماتقول ؟ ! !

---

(١) البحار جـ١٨ ص٢٠٩ الطبعة الحديثة

فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله سورة من القرآن فاستبصر حمزة وثبت على دين الاسلام وفرح رسول الله صلى الله عليه وآله . وسر ابو طالب باسلامه وقال في ذلك :

فصبرا ابا يعلى على دين احمد
وكن مظهراً للدين وفقت صابرا
وحط من اتى بالدين من عند ربه
بصدق وحق لاتكن حمز كافرا
فقد سرني اذ قلت انك مؤمن
فكن لرسول الله في الله ناصرا
وناد قريشاً بالذي قد اتيته
جهارا وقل ما كان احمد ساحرا (١)

وفى ليلة الهجرة حيث قام علي عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله والرصد من قريش قد احاطوا بالدار يريدون اقتحامها وقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما دنوا منه وعرفوه .

---

(١) البحار جـ١٨ ص٢١١ الطبعة الحديثة

فقالوا له : اين صاحبك ؟

قال : لا ادري ، أو رقيبا كنت عليه ؟ امرتموه بالخروج فخرج .

فانتهزوه وضربوه واخرجوه الى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه » (١)

٢٠ - القتل

آخر مايمكن ان يورده اعداء الدعوة الاسلامية على الدعاة هو القتل ، وانه اشد المحن واقسى انواع العذاب ، واحسن النعم التي ينال بها المسلم الفوز برضوان الله تعالى . ان القتل يريح المسلم المعذب من هذه الحياة الدنيا وينقله الى الجنان التي وعد الله تعالى بها عباده ، لهذا كان الدعاة المسلمون يقبلون على الموت ولا يتقاعسون عن نيل الشهادة .

ففي بدر خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وقال :

(١) البحار ج١٩ ص٩٤ الطبعة الحديثة

« والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسباً مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام - وفي يده تمرات يأكلها - بخ بخ افما بيني وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل واقبل عوف بن الحرث ابن عفراء وقال :

- يارسول الله مايضحك العبد من ربه ؟

- غمسه يده في العدو حاسرا .

فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم اخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل » (١) وهذه سمية ام عمار بن ياسر عذبها ابو جهل كما عذب زوجها ياسر وولدها عمار الى ان « طعنها في قلبها فماتت فكانت اول شهيدة في الاسلام » (٢) وقد كان ابو جهل اتى على حياة زوجها ياسر من جراء التعذيب قبلها .

« بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر رجال من صحابته وامر عليهم عاصما بن ثابت الانصاري ، ليكونوا

---

(١) شهداء الاسلام ص١٣

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص٢٢

قداة خير في نشر دين الله وتعليم القرآن . وانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ، ذكروا بحي من هذيل يقال لهم بنوا لحيان ، فنفروا اليهم بقريب من مئة رجل رام ، فاقتصوا آثارهم حتى وصلوا اليهم ، فلما احس بهم عاصم واصحابه لجأوا الى فدفد « اي مكان عال » فاحاط بهم القوم ، وقالوا لهم انزلوا ، واعطوا بايديكم ولكم العهد والميثاق ، لانقتل منكم احدا .

ثم رموهم بالنبال فقتلوا عاصما في سبعة معاه ، ونزل اليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب بن عدي الانصاري .

فلما استمكنوا منهم اطلقوا اوتار قسيهم ، فربطوهم بها .

فقال احد الرجال الثلاثة المأسورين ، هذا اول الغدر ، والله لا اصحبكم فكان جزاؤه ان قتل في ارضه جرا ودفما . وانطلقوا بخبيب وصاحبه حتى باعوهما بمكة وكان ذلك بعد موقعة بدر . فاشتراه بنو الحارث وكان لهم ثأر على خبيب لأنه قتل صاحبهم الحارث بن عامر يوم بدر . فلبث خبيب عندهم اسيرا يعذبونه تارة ، ويفتنونه عن دينه تارة اخرى . وهو ثابت كالجبال ماغير من دينه ، فلما يئسوا منه ، اجمعوا على قتله مصلوبا .

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه ، قال لهم خبيب « دعوني اركع ركعتين ، فتركوه حتى فرغ من صلاته ثم قال : والله لولا ان تحسبوا اني جزعت واحببت طول الحياة لزدت في صلاتي ولأطلتها .

ولولا ان تظنوا انما طولت جزعا من القتل ، لاستكثرت من الصلاة ، ثم رفعوه على خشبة ، فلما اوثقوه قال :

« اللهم انا بلغنا رسالة رسولك ، ثم استقبل الموت هانئاً راضياً باسماً ضاحكاً ، لانه موت في سبيل الله ، وشهادة في نصر دينه ، واعلاء كلمته .

وختم حياته بهذه الابيات التي تدل على شدة ايمانه وعظيم اسلامه وعميق حبه لله ولرسوله ، وللدار الآخرة .

قال واصفا فعل الكافرين به في تعذيبه وعند صلبه :

لقد جمع الاحزاب حولي والبوا

قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وقد جمعوا ابناءهم ونساءهم

وقربت من جزع طويل ممنع

الى الله اشكو كربتي بعد غربتي

وماجمع الاحزاب لي حول مصرعي

فذا العرش صبرني على مايراد بي

فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي

وقد خيروني الكفر والموت دونه

وقد ذرفت عيناي من غير مجزع

وما بي هـذا الموت أني ميت

ولكن حذار جحم نار ملفع

وذلك في ذات الآله وان يشأ

يبارك عـلى اوصال شلو ممزع

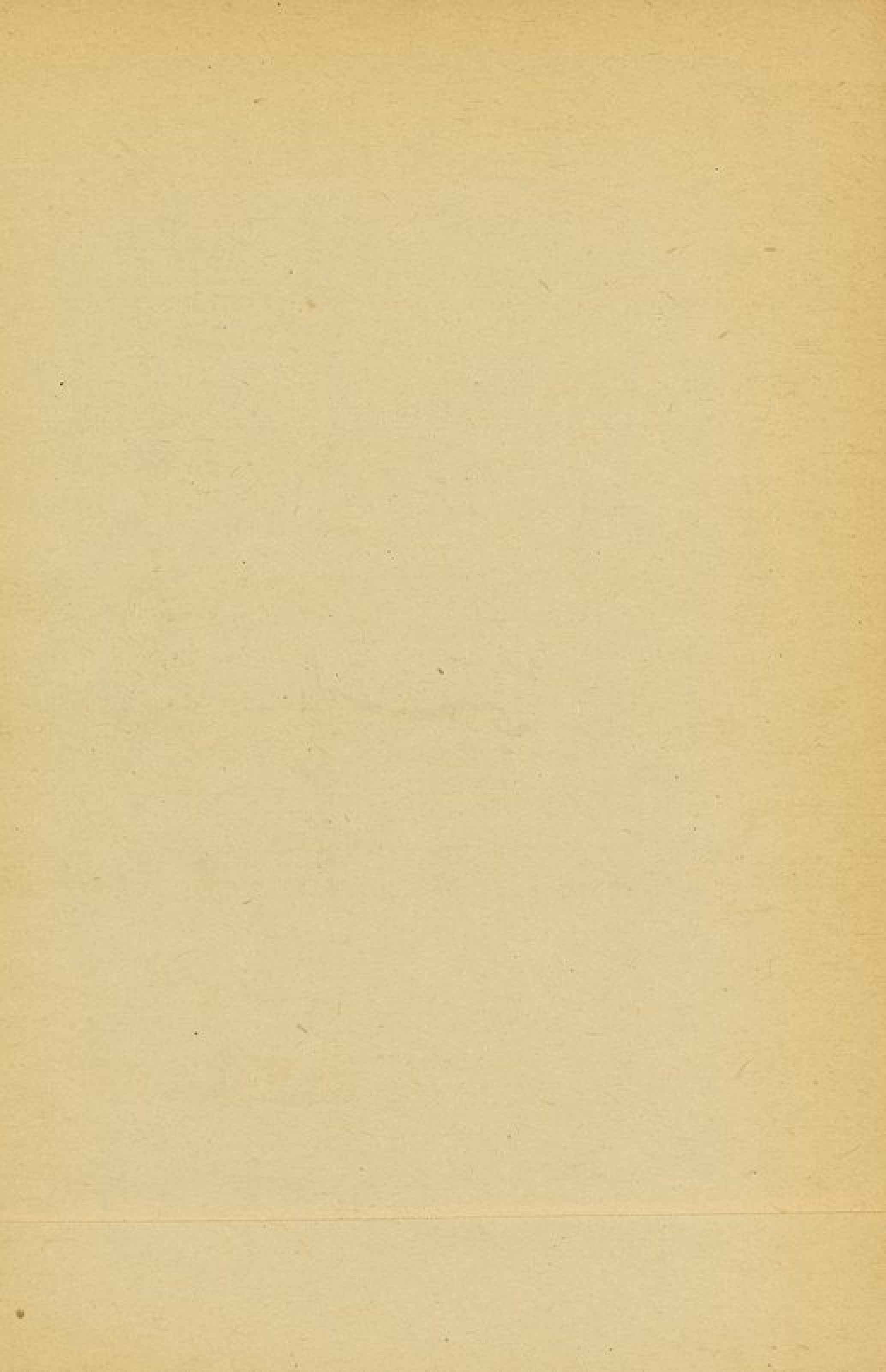
فلست ابالي حـين اقتل مسلماً

على اي جنب كان في الله مصرعي » (١)

---

(١) التربية الاسلامية السنة السابعة العدد السادس ص ٣٧١ ص ٣٧٢ نقلا عن كتاب (حلية الاولياء) للحافظ ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني .


النتيجة



هذه وغيرها من العقبات الكثيرة ، والتي بلغت من هولها مايشيب لها الجنين - تضاءلت امام الدعوة الاسلامية ، وامام الدعاة المسلمين وتغلبوا عليها ، واجتازوها منتصرين ظافرين ، بصبرهم وعزيمتهم وعمق ايمانهم وقد كانت الايات الكريمات تنزل على النبي صلى الله عليه وآله تصبره وتصبر الدعاة معه ، وتطلب منهم الثبات وتعدهم بالنصر .

قال تعالى :

« ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » (١)

ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نباء المرسلين » (٢)

« واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » (٣)

---

(١) سورة القصص آية (٥)

(٢) سورة الانعام آية (١١)

(٣) سورة النحل آية (١٢٧)

« فاصبر ان وعـــد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » (١)

« فاصبر على مايقولون » (٢)

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا واربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٣)

« فاصبروا حتى يحكم الله » (٤)

ولقد استفاد المسلمون من هذه الايات فوائد جلى في سيرهم في دعوتهم الى الله تعالى فهي :

١ - تامرهم بالصبر فاستجابوا لها وصبروا واصبح الصبر عندهم جزءاً من عملهم الاسلامي بل اساساً له قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام « وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالراس من الجسد ، ولا خير فى جسد لا راس معه ولا في ايمان لا صبر معه » (٥)

---

(١) سورة الروم آية (٦٠)

(٢) سورة طه آية (١٣٠)

(٣) سورة آل عمران آية (٢٠٠)

(٤) سورة الاعراف آية (٨٧)

(٥) نهج البلاغة شرح محمد عبده جـ٣ ص ١٦٨

٢ - تعدهم بالنصر وتضع امامهم المستقبل المشرق لتخفف من آلامهم وليطمئنوا بوعد الله لهم .

٣ - تسليهم عن مصائبهم بما تذكره لهم من محن الانبياء السالفين (ع) ومحن اصحابهم .

٤ - تبين لهم بانه لامفر من تحمل هذه المحن والشدائد وانها سنة من سنن الحياة وسنن الدعوات ولا مبدل لكلمات الله .

٥ - لم تكن مدة الصبر محدودة بزمان معين وانما هي حتى يحكم الله وفي هذا تسليم واستسلام لامر الله واذعان لحكمه .

واضعو العقبات

اما الجهات التي كانت تصنع العقبات ، وتضع العراقيل فهي :

١ - المشركون

وهم الذين يعبدون الاصنام ويقومون برعايتها وهؤلاء كانوا يعتقدون أن الاصنام هي الآلهة التى بيدها الخير والشر ، والنفع والضر .

قال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله » (١)

« قل افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته » (٢)

---

(١) سورة البقرة آية (١٦٥)

(٢) سورة الزمر آية (٣٨)

او انها هي الشفيعة والواسطة بينهم وبين الله الذي في السماء قال تعالى :

« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (١)

« والذين اتخذوا من دونه اولياء : مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٢)

فهؤلاء وقفوا في وجه الدعوة الاسلامية ، لانها تدعو الى نبذ الاصنام وترك الانداد ، وعبادة الله الواحد . وبذلك تكون قد استهدفت آلهتهم ، فاشتدوا المحافظة عليها ومحاربة الدعوة الاسلامية التي سفهت احلامهم وسخرت من آلهتهم وآلهة آباءهم واجدادهم .

« قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ، ونذر ماكان يعبد آباؤنا » (٣)

« أتنهانا ان نعبد مايعبد آباؤنا » (٤)

---

(١) سورة يونس آية (٨١)

(٢) سورة الزمر آية (٣)

(٣) سورة الاعراف آية (٧٠)

(٤) سورة هود آية (٦٢)

« قالوا : حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » (١)

ولانها كانت تدر عليهم المال الكثير بدون تعب او كد في تحصيله وذلك مما يقدم لها الناس من النذور والهدايا والذبائح تقرباً اليها في طلب المغفرة منها واستدرار العيش كما مر في خبر وفد ثقيف الى النبي صلى الله عليه وآله في موضوع الدعوة ترفض المساومة فراجع .

---

(١) سورة المائدة آية (١٠٤)

٢ ـ اصحاب الديانات المحرفة

﴿ كاليهود والنصارى واتباعهم ﴾

الذين ارادوا المحافظة على مافي ايديهم من الخرافات والاوهام والشعوذة والدجل لانها كانت وسيلة غير متعبة لمعيشتهم قال تعالى :

« ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » (١)

وهؤلاء وقفوا في وجه الدعوة الاسلامية لا لجهلهم بها ولا لشك فيها وانما حفظاً على مصالحهم الخاصة وانانيتهم الجشعة لان قبولهم للدعوة وانضمامهم الى صفوف الدعاة يكلفهم التنازل عن كياناتهم ومصالحهم والانصهار مع عامة المسلمين .

قال تعالى : « يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وامنوا

(١) سورة التوبة آية (٣٤)

بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمناً قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون » (١)

فقد كانوا على علم ببعثة محمد صلى الله عليه وآله وبدعوته وقد ذكرهم الله سبحانه بذلك ، قال ابن الانباري :

اذكروا ما انعمت به عليكم فيما استودعتكم من علم التوراة وبنيت لكم من صفة محمد صلى الله عليه وآله والزمتكم من تصديقه واتباعه فلما بعث ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة » (٢)

كما وان الله سبحانه كان قد اخذ عهدا منهم على الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وبدعوته وجعل لهم بذلك عهداً على نفسه بان يدخلهم الجنة .

فعن ابن عباس « ان الله تعالى عهد اليهم في التوراة انه باعث نبيا يقال له محمد فمن تبعه كان له اجران اثنان اجر باتباعه موسى وايمانه بالتوراة واجر باتباعه محمدا وايمانه

---

(١) سورة البقرة آية (٤٠ ، ٤١ ، ٤٢)

(٢) مجمع البيان م١ ص٩٣ طبع ايران

بالقرآن ومن كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزائه فقال : اوفوا بعهدي في محمد اوف بعهدكم ادخلكم الجنة » (١)

ثم بعد ان ذكرهم بنعمته والوفاء بعهده دعاهم للايمان بما انزل على محمد صلى الله عليه وآله وان اتباعهم للتوراة يلزمهم الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وبدعوته « امرهم بالتصديق بالقرآن واخبرهم ان في تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتوراة لان الذي في القرآن من الامر بالاقرار بالنبوة لمحمد صلى الله عليه وآله وتصديقه، نظير الذي في التوراة والانجيل فان فيهما البشارة بمحمد وبيان صفته فالقرآن مصدق لهما » (٢)

ثم حذرهم الله سبحانه من الاستهانة بآياته فقال : ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا « وروي عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الاية قال : كان حي بن اخطب وكعب بن الاشرف وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كل سنه ، فكرهوا بطلانها بأمر النبي صلى الله عيله وآله فحرفوا لذلك

---

(١) مجمع البيان م١ ص٩٣

(٢) مجمع البيان م١ ص٩٤

آيات من التوراة فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي اريد فى الاية » (١) ونهاهم عن خلط الحق بالباطل وعن كتمان الحق مع علمهم به فقال : وتكتموا الحق وانتم تعلمون « اي لاتكتموا صفة النبي صلى الله عليه وآله فى التوراة وانتم تعلمون انه حق والخطاب متوجه الى رؤساء اهل الكتاب كما وصفهم بانهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على اتباعهم » (٢)

وان اليهود في المدينة (يثرب) كانوا دائماً يستنصرون على العرب (الاوس والخزرج) برسول الله صلى الله عليه وآله قبل ان يبعث « فلما بعثه الله تعالى من العرب دون بني اسرائيل كفروا به فقال لهم بشر بن معرور ومعاذ بن جبل : اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتذكرون انه مبعوث . فقال سلام بن مسلم اخو بني النظير : ماجاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكركم فنزل · ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق

---

(١) مجمع البيان م١ ص٩٥

(٢) مجمع البيان م١ ص٩٦

لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جائهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » (١)

فكان الحسد الذي اصابهم هو السبب الاخر في معارضتهم للدعوة الاسلامية والوقوف بوجهها . فقد حسدوا العرب على وضع النبوة فيهم وذهابها عنهم وبذلك تزول الرئاسة عنهم الى غيرهم .

قال تعالى : « ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ماتبين لهم الحق » (٢)

وفي البحار : « وكان اسعد وذكوان وجميع الاوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم : النضير وقريظة وقينقاع ان هذا اوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلنكم به يامعشر العرب » (٣)

ولما هاجر النبي صلى الله عليه واله الى المدينة وجاءه

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب جا ص٥١

(٢) سورة البقرة آية (١٠٩)

(٣) البحار ج١٩ ص٨ الطبعة الحديثة

اليهود يطلبون منه المدنة فاجابهم لذلك « وكان الذي تولى امر بني النضير حي بن اخطب فلما رجع الى منزله قال له اخونه : جــدى بن اخطب وابو ياسر ابن اخطب : ماعندك ؟

قال : هو الذي نجده في التوراة والذي بشرنا به علماؤنا ولا ازال له عدوا ! ! لان النبوة خرجت من ولداسحاق وصارت في ولد اسماعيل ولا نكون تبعاً لولد اسماعيل ابداً » (١)

ولما اسلم عبـد الله بن سلام وكان من كبار علماء اليهود .

قال يارسول الله : ان اليهود قوم بهت وانهم ان سمعوا باسلامي بهتوني ! ! فأخبأني عندك وابعث اليهم فسلهم عني فخباه رسول الله صلى الله عليه وآله وبعث اليهم فجاؤا .

فقال : اي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟

قالوا : هو خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا .

قال : أرأيتم ان اسلم اتسلمون ؟ ؟

---

(١) البحار ج١٩ ص١١١ الطبعة الحديثة

فقالوا : اعاذه الله من ذلك !!!

فقال : يا عبد الله بن سلام اخرج اليهم فلما خرج اليهم .

قال : اشهد ان لا اله الا الله ، واشهد ان محمداً رسول الله .

قالوا : شرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا !!!

فقال ابن سلام : قد اخبرتك يارسول الله ان اليهود قوم بهت » (١)

هذه الاخبار تدل دلالة واضحة على علم اليهود بان الدعوة الاسلامية دعوة حقة وان محمداً صلى الله عليه وآله هو نبي مرسل من الله ولكنهم ابوا الانصياع للنبي صلى الله عليه وآله ورفضوا الانضمام للدعوة الاسلامية بدافع من مصالحهم الخاصة وحسداً منهم حيث انْ النبوة خرجت منهم .

اما النصارى فلم يختلفوا كثيراً عن اليهود فهم ايضاً كانوا على علم بالدعوة وبصاحبها صلى الله عليه وآله .

ولا عجب فى ذلك حيث ان موسى وعيسى عليهما السلام

---

(١) البحار جـ١٩ ص١٣١ الطبعة الحديثة

(وكلاهما من اولي العزم) بشرا الناس به واعلماهم بصفاته ووقت ظهوره .

وانهم ليجدون صفاته وصفاة دعوته فى كتبهم المقدسة قال تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل أني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (١)

وان النبي صلى الله عليه وآله لما ارسل الى ملك الروم يدعوه للاسلام احترم الرسول (دحية) وقبل كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله « وكتب الى رجل برومية كان يقرأ الكتب يخبره شأنه فكتب اليه صاحب رومية انه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه فاتبعه وصدقه فجمع هرقل بطارقة الروم فى الدسكرة وغلقت ابوابها ثم اطلع عليهم من علية وخافهم على نفسه !! وقال لهم : قد اتاني كتاب هذا الرجل يدعوني الى دينه وانه والله النبي الذي نجده فى كتابنا فهلم فلنتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا . فنخروا نخرة رجل

---

(١) سورة الصف آية (٦)

واحد ثم ابتدروا الابواب ليخرجوا فقال : ردوهم علي وخافهم على نفسه وقال لهم : انما قلت لكم ماقلت لانظر كيف صلابتكم فى دينكم ؟ وقد رأيت ماسرني ، فسجدوا له وانطلق وقال لدحية : اني لأعلم ان صاحبك نبي مرسل ولكني اخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته . فاذهب الى ضغاطر الاسقف الاعظم فى الروم ، واذكر له امر صاحبك وانظر مايقول لك فجاء دحية واخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ضغاطر : والله ان صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده من كتابنا ثم اخذ عصاه وخرج على الروم وهم فى الكنيسة فقال : يامعشر الروم قد جاءنا كتاب من احمد يدعونا الى الله واشهد ان لا اله الا الله ، وان محمداً عبده ورسوله .

قال : فوثبوا عليه فقتلوه فرجع دحية الى هرقل واخبره الخبر .

قال : قد قلت : انا نخافهم على انفسنا » ! ! (٢)

---

(١) سورة الصف آية (٦)

(٢) الكامل لابن الاثير جـ٢ ص١٤٣

وذكروا ان هوذة ملك اليمامة لما « اتاه سليط بن عمرو يدعوه الى الاسلام - وكان هوذة نصرانياً - ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم وفداً فيهم مجاعة بن مرارة والرجال بن عنفوة يقول له :

ان جعل الامر له من بعده اسلم وسار اليه ونصره والا قصد حربه فقال رسول الله : لا ولا كرامة اللهم اكفنيه فمات بعد قليل . » (١)

(١) الكامل لابن الاثير جـ ٢ ص ١٤٦ .

٣ ـ أصحاب الزعامة

وهم رؤساء القبائل والعشائر وهؤلاء وجدوا في الدعوة الاسلاميـة خطراً على نفوذهم وزعامتهم لأنها اخذت تشعر الناس بكرامتهم وانسانيتهم وحريتهم من كل عبودية سوى عبودية الله سبحانه الذي خلقهم . فما كان بوقهم ذلك منها حفظـــاً على نفوذهم وسلطتهم وزعامتهم فانطلقوا لمحاربتها والتنكيل بالدعاة المستضعفين وانزال اقسى انواع العقوبات بهم

فمن هؤلاء الزعماء الجاهليين ابو جهل الذي ما انفك في محاربة الدعوة الاسلامية ومطاردة الدعاة المسلمين ومنهم ابو لهب عم النبي صلى الله عليه و آله الذي كان يؤذي النبي ويقول : لاتصدقوا ابن أخي فانه كذاب لاتسمعوا منه فانه مجنون ! ! ومنهم الوليد بن المغيرة الذي وصف النبي بالساحر ووصف دعوته بالسحر وأمثالهم من ذوي النفوذ والمكانة المرموقة في ذلك المجتمع الجاهلي .

وقد صرح ابو جهل ذات مرة عما يدعوه الى محاربة الاسلام والمسلمين واعترف بانها الزعامة فقال :

« زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا

كفرمي رهان قالوا : منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزل : واذا جاءتهم آية قالوا : لن نؤمن حتى نوتى . الآية ... » (١)

وان قسماً من هؤلاء المتزعمين في الجاهلية والذين احسوا بخطر الدعوة الاسلاميه على زعامتهم لم يجدوا بـدأ من ان يدخلوا فى الاسلام بقصد حفظ كيانهم وزعامتهم وقد رعى النبي صلى الله عليه وآله ذلك وجعل لهم بعض المميزات لكيلا يشعروا بان الاسلام سلبهم زعامتهم ومن امثال هؤلاء ابو سفيان الذي اسلم ظاهراً عند فتح مكة وحزام بن حكيم وقد قال النبي صلى الله عليه وآله يومها « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن » « ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » (٢).

وهو يعلم ان ابا سفيان لم يدخل الايمان الى اعماق قلبه ولم يسلم رغبة فى هذا الدين الذي قضى معظم ايام حياته فى محاربته وفى قيادته الجيوش ضده ، والتأليب عليه لاستئصال

---

(٢) مناقب بن شهرا شوب جـ ١ ص ٥٠ .

(٢) تاريخ الكامل لابن الاثير جـ ٢ ص ١٦٦ .

لدعاة الى الله وانما اسلم خوفاً من القتل والهلاك وبعد ان علم بان العرب المشركين لم يستطيعوا الوقوف في وجه الدعوة الاسلامية .

ومن امثالهم عبد الله بن ابي ، رأس المنافقين في المدينة الذين تشير اليهم الآية الكريمة « ومن اهل المدينة مردوا على النفاق » (١)

هذا الرجل الذي حكت قولته الآية الكريمة « يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (٢)

وهو يقصد بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية في عبد الله بن ابي المنافق واصحابه : ان رسول الله صلى الله عليه وآله بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابي فرار ابو جويريه زوج النبي صلى الله عليه وآله فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله خرج

---

(١) سورة التوبة آية (١٠١)

(٢) سورة المنافقين آية (٨)

اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له (المريسيع) من ناحية (قديد) الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونفل رسول الله صلى الله عليه وآله ابناءهم ونساءهم واموالهم فبينا الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان الجهني من بني عوف بن خزرج على الما فاقتتلا فصرخ الجهني يامعشر الانصار وصرخ الغفاري : يامعشر المهاجرين فاعان الغفاري رجل من المهاجرين يقال له (جعال) وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابي لجعال : انك لهتاك فقال : وما يمنعني ان افعل ذلك واشتد لسان جعال على عبد الله فقال عبد الله والذي يحلف به لآزرنك ويهمك غير هذا ! !

وغضب ابن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو حديث السن فقال ابن ابي : قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله مامثلنا ومثلهم الا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اقبل على من حضره من قومه فقال : هـذا ما فعلتم

بانفسكم ، احللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم اموالكم، اما والله لو امسكتم

من (جمال) وذويه فضل الطعام . لم يركبوا ارقابكم ، ولاوشكوا

ان يتحولوا من بلادكم ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم فقال زيد

ابن ارقم : انت والله الذليل القليل المبغض في قومك

ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم في عز من الرحمن ومودة من

المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هـذا . فقال عبد الله

اسكت فانما كنت العب . فمشى زيد بن ارقم الى رسول

الله (ص) وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر فأمر

رسول الله (ص) بالرحيل وارسل الى عبد الله فأتاه فقال :

ماهذا الذي بلغني عنك ؟

فقال عبد الله : والذي انزل عليك الكتاب ماقلت شيئاً

من ذلك قط وان زيدا لكاذب وقال من حضر من الانصار :

يارسول الله شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه بكلام غلام من

غلمان الانصار عسى ان يكون هذا الغلام وهم في حديثه .

فعذره رسول الله (ص) وفشت الملامة من الانصار لزيد

ولما استقل رسول الله (ص) فسار لقيه اسيد بن الحضير

فحياه بتحية النبوة ثم قال : يارسول الله لقد رحت في ساعة

منكرة ماكنت تروح فيها فقال له رسول الله (ص) :

او ما بلغك ما قال صاحبكم زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الا ذل ؟

فقال اسيد : فانت والله يارسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال : يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكاً .

وبلغ عبد الله بن عبدالله بن ابي ما كان من امر ابيه فأتى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله انه قد بلغني انك تريد قتل ابي فان كنت لابد فاعلا فمرني به فانا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله بن ابي ان يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فادخل النار فقال : بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا قالوا : وسار رسول الله (ص) بالناس يومهم ذلك حتى امسى . وليلتهم حتى اصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياماً انما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن ابي . . قال

زيد بن ارقم : فلما وافى رسول الله (ص) المدينة جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فنزلت سورة المنافقين في تصديقي وتكذيب عبد الله بن ابي ! ثم اخذ رسول الله (ص) بأذن زيد فرفعه عن الرحل ثم قال : ياغلام صدق فوك ووعت اذناك ووعى قلبك وقد انزل الله فيما قلت قرآنا . وكان عبد الله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله عبد الله بن ابي حتى اناخ على مجامع طرق المدينة ! فقال : مالك ويلك ؟ ! !

قال : والله لا تدخلها الا باذن رسول الله (ص) ولتعلمن اليوم من الاعز ومن الاذل ! فشكا عبد الله ابنه الى رسول الله (ص) فارسل اليه : ان خل عنه يدخل ! ! !

فقال : اما اذا جاء امر رسول الله (ص) فنعم فدخل .

قيل له نزل فيك آي شداد ، فاذهب الى رسول الله (ص) يستغفر لك فلوى راسه .

ثم قال : امرتموني ان اومن فقد آمنت ! وامرتموني ان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت ! فما بقي الان اسجد لمحمد ! ! (١)

---

(١) مجمع البيان م١٠ ص ٢٩٣ ، ص ٢٩٤

فهذا الذي لولا مجيء النبي (ص) الى يثرب لكان هو السيد المطاع والمتوج بالتاج ولكن ذلك ذهب منه وفات عنه بسبب قدوم النبي (ص) الى المدينة لذا نراه يعرقل مسيرة الدعوة الاسلامية بما يضعه امامها من عقبات !

هـذه هي اهم القوى التي وقفت متكاتفة امام الدعوة الاسلامية من اول يومها واخذت تشنها حرباً عضوضاً لاهوادة فيها على الاسلام والمسلمين . وكانت في بدايتها حرباً كلامية ، ودعايات كاذبة ؟ ووشايات منافقة ، تلتها مقاطعة حادة ، وحصار شديد من الناحية الاقتصادية والاجتماعية . اعقبها تعذيب وتنكيل بالمسلمين وقتل بعضهم صبرا .

ثم جاءت المؤامرة الكبرى على حياة الداعية الاسلامي الاول صلى الله عليه وآله ولما باءت بالفشل ورد الله كيدها في نحورها ونصر نبيه صلى الله عليه وآله عليها بهجرته الى يثرب ، واعز دعوته بتحشيد الطاقات الاسلامية فيها استمادت هذه القوى الكافرة الحاقدة كل امكانياتها وجندت كل طاقاتها وقادتها حرباً دموية الى قلعة المسلمين وموطن دولتهم الاولى المدينة المنورة لتمحق الدعوة والدعاة وتزيلهم من الوجود بجيوشها المتكثرة .

ولكن النبي صلى الله عليه وآله والصفوة الدعاة الذين جاهدوا معـه وقفوا صامدين امام تلك القوى المعارضة ، والجبهات المعتدية والتكتلات المتعددة وحاربوها كلها تحت جبهة واحدة ، واطلقوا عليها اسما واحداً هو « الجاهلية »

وقد كان الانتصار حليفهم في كل معركة خاضوها سواء في المعارك الكلامية او المعارك الدموية .

* * *

عوامل الانتصار

أما انتصارهم في المعارك الكلامية فكان لسببين :

١ ـ سمو الافكار الاسلامية

والتعاليم الالهية التى آمنوا بها طائعين ، على انها احكام انزلها الله المستجمع لصفات الكمال فهي اذن كاملة لان الكامل لايصدر عنه غير الكامل انزلها على نبيه محمد صلى الله عليه وآله لاخراج الناس من الظلمات الى النور ومن الجاهلية الى الاسلام . لم يصنعها بشر ليتسرب اليها النقص البشرى وتكون مثاراً للشك والتناقض والوهن .

فصارعوا بهذه الافكار الاسلامية السامية ، تلك الخرافات المترسبة، والافكار المتهرئة التي سرعان ماسقطت صريعة امام الافكار الاسلامية النيرة . وظهر للناس زيفها فلفظوها الا من اخذته العزة بالأثم ، والحمية الجاهلية واستولى عليه العناد .

٢ ـ التجسيد والتطبيق العملي

(لتلك الافكار والتعاليم في سلوكهم وفي جميع تصرفاتهم)

فقد كانوا مثالا صادقاً ونموذجاً ناطقاً للاسلام . وبهذا اعلنوا للناس على ان الافكار الاسلامية التي امنوا بها ، والتي يدعون الناس الى الايمان بها يمكنها ان تعيش في واقع الانسان ، وتسيطر على سلوكه فى نفسه وفي مجتمعه ، وليست افكاراً مثالية تعيش فى الذهن والخيال ، ويستحيل تطبيقها عندما تصطدم بواقع الحياة وتنزل من الذهن والخيال الى المجتمع . كما اعلنوا عملياً بان الافكار الاسلامية باستطاعتها ان تنشأ مجتمعاً مثالياً فى انسانيته بما تحدثه من تغيرات فى نفس الانسان المسلم وفى مشاعره وفي سلوكه وعاداته . ومن هنا اقبل كثير من الناس واعتنقوا الاسلام وتبنوا مفاهيمه عندما شاهدوا المسلمين وقد غيرتهم تعاليمه ونقلتهم من وضعهم الجاهلي الى حالة جديدة يحسدون عليها .

واحدثت فيهم انقلاباً في السلوك وفي المشاعر وفى الاخلاق

وفي العادات وفي كل مظهر من مظاهر حياتهم .

واما انتصارهم في المعارك الدموية فكان لسببين ايضاً :

١ ـ صبرهم وتوطين انفسهم

على تحمل كل الالام في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، وحمل رسالتها الى العالم اجمع وازاحة كل القوى والعقبات التي تعترض الطريق ، وتقف حائلا دون اخراج الناس من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام مهما كلف الثمن ولو اريقت دماؤهم ، وازهقت ارواحهم ، لانهم آمنوا بانهم ليسوا اعداء البشرية بل هم دعاة خير وصلاح فهانت عليهم الشدائد .

٢ ـ ايمانهم

في كل معركة دموية خاضوها ـ ان النصر لهم ، وحسن العاقبة اليهم . وهـذا مفهوم اسلامي خاص لانجده عند حملة الافكار الوضعية ولا عند ذوي العقول

الجاهلية . ذلك لان مفهوم النصر عند المسلمين هو كل امر يقربهم من رضوان الله تعالى لان رضا الله تعالى بحد ذاته غاية الغايات ولما كانت المعارك التي يخوضونها فى سبيل الله فلا تهمهم نتائجها فسواء عندهم :

الانتصار او الانكسار ، الغلبة والظفر او الاندحار والتقهقر طالما هم في كلا الحالتين فى طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته .

بهذه العقيدة الصلدة ، وبهذا الايمان الراسخ ، خاض المسلمون الاولون والدعاة المجاهدون غمرات الحروب ، وكانوا واثقين انهم هم المنصورون ، وأن اعدائهم هم المخذولون، سواء بذلك ان هزموا او هزموا ، ان قتلوا او قتلوا ان انتصروا او اندحروا .

قال تعالى :

« قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين . ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا . فتربصوا انا معكم متربصون » (١)

---

(١) سورة التوبة آية (٢٥)

في هذه الاية تقرير لذلك المفهوم الاسلامي الخاص .

واحدى الحسنيين اما الشهادة التي ينالها المسلم فيقتل في سبيل الله تعالى ويفوز برضوانه .

واما النصر على العدو فيطبق احكام الله في الارض فينال بذلك رضوان الله تعالى ايضاً .

واما العدو : اما ان ينتصر على المسلم في الظاهر فيقتله وبذلك يخسر المعركة في الحقيقة ، لان الله تعالى يصيبه بعذاب من عنده حسب الاية الكريمة وذلك هو الخسران المبين .

واما ان يقتل بايدي المسلمين ويذهب الى جهنم وبئس المصير كما في الاية الكريمة « او بايدينا » وليست هذه قسمة ضيزى ، كما قال ذلك الجاهلي عمرو بن عبد ود العامري للمجاهد الاسلامي الخالد الامام امير المؤمنين عليه السلام .

بل هي قسمة عادلة . لان من يقاتل في سبيل الاسلام ليس كمن يقاتل في سبيل الكفر ، ومن يقاتل لازاحة العقبات التي تقف امام ايصال النظام الاصلح الى البشرية وهو الاسلام ليس كمن يقاتل ليوقف او يؤخر الزحف الاسلامي المتقدم في سبيل هداية الناس وخيرهم .

وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لايقدر على شيء وهو كل عــلى مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » (١)

« افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ؟ » (٢)

بهذا المفهوم الخاص في الايمان بالنصر وبالصبر وتوطين النفس على تحمل المحن وبالافكار الاسلامية السامية وبالتجسيد والتطبيق العملي لتلك الافكار في سلوكهم الخاص والعام استطاعوا وهم قلة ان يتغلبوا على اعدائهم وهم كثرة فحققوا - فى ظرف يسير من الزمن - اروع دولة عرفها التاريخ البشري سابقاً ولاحقاً ، ولا يزال العالم اليوم يتطلع الى اختها بشوق ولهفة وحنين ، بعد ان ذاق الوانا من المآسي والويلات من جراء النظم الوضعية والافكار المزيلة التي عمت البشرية اثر اجهاز الاستعمار الكافر عــلى الدولة الاسلامية ومحوها من الوجود نتيجة لجشعه وانانيته التي جعلته يحقد على دولة الاسلام منذ ان شعر واحس بخطرها على وجوده

---

(١) سورة النحل آية (٧٦)

(٢) سورة القلم آية (٣٥) ، (٣٦)

ومصالحه العدوانية ونواياه الخبيثة .

وهـذا ماسيكون موضوع البحث ـ معك عزيزي القارىء ـ في لقاء آخر ان شاء الله تعالى للتعرف على ماتتطلبه الدعوة الى الاسلام من جهود واساليب للعمل ، وما تكتنف الامة الاسلامية من اوضاع ، وما تعترض طريق العاملين للاسلام اليوم من عقبات ومنه تعالى نستمد التأييد والتوفيق والتسديد وهو حسبنا .

كربلاء المقدسة كاظم محمد النقيب

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المصادر

اسم الكتاب	المؤلف
القرآن الكريم	
نهج البلاغة	شرح محمد عبدة
تفسير مجمع البيان	للطبرسي
تفسير البرهان	للبحراني
تفسير ابن كثير	لابن كثير
تفسير الطبري	للطبري
البحار	للمجلسي
الكامل في التاريخ	لابن الاثير
المناقب	لابن شهر اشوب
السيرة الحلبية	للحلبي
الكافي	للكليني
مختصر بصائر الدرجات	حسن الحلي
الغدير	للاميني
دراسات اسلامية	محمد عبد الرحمن الجديلي
التربية الاسلامية	اصدار جمعية التربية الاسلامية

اسم الكتاب	المؤلف
التشريع الجنائي الاسلامي	عبد القادر عودة
اعلام الورى	للطبرسي
شهداء الاسلام	للنشار
تاريخ اليعقوبي	لليعقوبي
سيرة احمد زيني دحلان	زين دحلان
مروج الذهب	للمسعودي
مشكاة الانوار	للطبرسي
الرسول القائد	محمود شيت خطاب
نور الابصار	للشبلنجي
تفسير الفخر الرازي	الفخر الرازي
الامام الصادق (ع)	محمد الحسين المظفر
سيرة ابن هشام	لابن هشام
فتوح البلدان	للبلاذري
حياة محمد (ص)	محمد حسين هيكل
حياة امير المؤمنين (ع)	محمد صادق الصدر
لماذا اخترنا الدين الاسلامي	محمد الرضي
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	ابو الحسن الندوي

كتب مطبوعة للمؤلف

١ — مجتمعنا وعوامل الهدم والبناء

٢ — نحن واليهود

٣ — الدعوة والعقبات

* * *

كتب تالية للمؤلف

١ — الفدائيون

٢ — أئمتنا قادة ودعاة

٣ — مقالات في الدعوة والدعاة

٤ — امتنا بين الغفلة واليقظة

٥ — الشورى في الاسلام

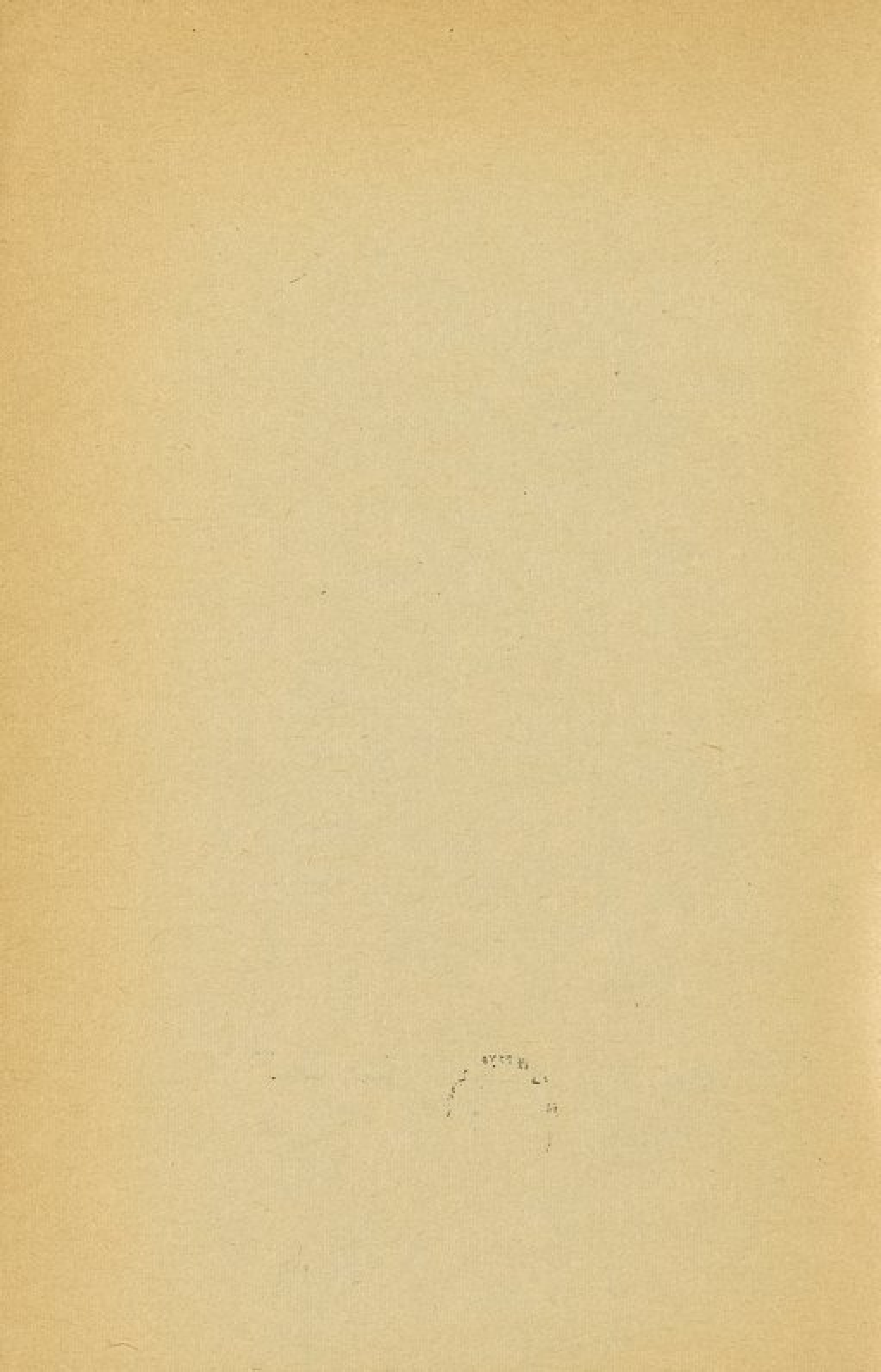
٦ — ماذا يمنع من قيام الحكومة الاسلامية ؟

٧ — اخلاقنا

٨ — حبر الامة (عبد الله بن العباس)

٩ — الادب الهادف _ قصص _

* * *



مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٩٩٧

هـذا الكتاب

لو قدر لي أن اجعل عنوانا لهذا الكتاب غير عنوانه الحالي « الدعوة والعقبات » ، لما وجدتني مبتعدا عن اسم « فقه الدعوة » ! ! ذلك لانه يبحث في قضايا دعوتيه بحتة ، وهو كمحاولة لايجاد فكر دعوتي رسالي مستنبط من حياة « الدعوة الاسلامية » الاولى ، وسيرة قائدها الرسول الداعية صلى الله عليه وآله ، وسيرة الدعاة المسلمين الميامين ! !

فهو ليس كتاب تاريخ ، وان تعرض لاحداث مرت عبر التاريخ الرسالي للدعوة الاسلامية ، وإنما هو نماذج وصور ملتقطة من خلال دراسة واسعة لهذا التاريخ ! ! آثرت لها عنوان « الدعوة والعقبات » لانه أكثر انطباقاً عليها ، واحسن انسجاماً معها ، من أي عنوان آخر ! !

فما أحراها ان تكون نبراس هداية وتوجيه ، لتلقي الضوء على مسار الدعوة لسلوك ما يماثلها في حياتنا الاسلامية المعاصرة ، لتنير الدرب امام الدعاة الى الله تعالى في كل زمان ومكان .

المؤلف

ثمن النسخة الواحدة
٢٥٠ فلساً

